جغرافية المشكلات الإجتماعية

أ.د. مضر خليل العمر
د. محمد احمد عقلة المومني

أ. د. مضر خليل العمر و د. محمد أحمد عقلة المومني

جغرافية المشكلات الاجتماعية

الطبعة الاولى

جميع الحقوق محفوظة

الناشر

دار الكندي للنشر والتوزيع

اربد - الاردن

تلفاكس ٧٢٤٤٣٢٣ ص .ب ٨٩٣

تصميم الغلاف: الفنان علي الحموري

رقم الايداع لدى دائرة المطبوعات والنشر: (١٩٩٩/٨/١٠٠٦)

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (١٩٩٩/٨/١٤٢٤)

رقم التصنيف: ٣٦١.١٩١

المؤلف ومن هو في حكمه: أ. د. مضر خليل العمر و د. محمد أحمد عقلة المومني

عنوان الكتاب: جغرافية المشكلات الاجتماعية

الموضوع الرئيسي: ١- العلوم الاجتماعية

٢- المشكلات الاجتماعية

بيانات النشر: اربد - دار الكندي للنشر

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
مدخل : التعريف بالجغرافيا الإجتماعية	**١٣-٢٣**
١- المقدمة	
٢- تعريف الجغرافيا الإجتماعية	
٣- مجال الجغرافيا الإجتماعية	
٤- الجغرافيا الإجتماعية وعلم الإجتماع	
م ١ : التنظيم المكاني للمشكلات الإجتماعية	**٢٤-٣٠**
١- المقدمة	
٢- نموذج لتنظيم مكاني- إجتماعي	
م ٢ : تحديد الأنماط الإجتماعية مكانيا	**٣١-٣٧**
١- المقدمة	
٢- المؤشرات الإجتماعية المكانية	
م ٣ : التخطيط الإجتماعي	**٣٨-٤٦**
١- المقدمة	
٢- تعريف التخطيط الإجتماعي	
٣- طبيعة التخطيط الإجتماعي	
٤- موضوعات التخطيط الإجتماعي	
٥- المخطط الإجتماعي	
٦- التخطيط الإجتماعي والدول النامية	
م ٤ : جغرافية التنمية الإجتماعي	**٤٧-٥٨**
١- المقدمة	
٢- أنواع المناطق الإجتماعية	

الموضوع	الصفحة
١- ٢ المناطق المحرومة	
٢-٢ المناطق السكنية الجديدة	
٣- التنمية الإجتماعية	
٤- ستراتيجيات مخططوا التنمية	
٥- الجغرافيا والتنمية الإجتماعية	
م٥ : الجغرافيا والسياسة المكانية	**٥٩-٦٣**
م٦ : الجغرافيا والسياسة الإجتماعية	**٦٤-٦٨**
الفصل الثاني : مناهج الدراسة في الجغرافيا الإجتماعية	
م١ : منهج دراسة الرفاه الإجتماعي	**٧٠-٨١**
١- المقدمة	
٢- مستوى المعيشة ومعاييره	
٣- التباين المكاني للرفاه	
١-٣) التباين الدولي في الرفاه الإجتماعي	
٢-٣) التباين الإقليمي في الرفاه الإجتماعي	
٣-٣) التباين الحضري في الرفاه الإجتماعي	
٤- ٣) التباين المحلي في الرفاه الإجتماعي	
٤- مراحل درسة الرفاه الإجتماعي	
م ٢ : المنهج البيئي	**٨٢-٨٤**
١- المقدمة	
٢- المدينة كوحدة بيئية	
م٣ : منهج دراسة المجموعة الإجتماعية	**٨٥-٩٢**
١- المقدمة	

الموضوع	الصفحة
٢- أنواع المجاميع الإجتماعية	
٣- العوامل المؤثرة على المجموعة	
م ٤ : المنهج السلوكي	**٩٣-٩٦**
١- المقدمة	
٢- سمات المنهج السلوكي	
الفصل الثالث : التركيب الإجتماعي للمدينة	
م١ : التركيب الإجتماعي لسكان المدينة	**٩٨-١٠٨**
١- المقدمة	
٢- المنهج الجغرافي	
٣- عناصر التركيب الإجتماعي	
١-٣) الموجود السكني	
٢-٣) سكان المدينة	
٣-٣) الحيز المكاني	
٤- مفاهيم التركيب الإجتماعي	
١-٤) الحالة الإجتماعية الإقتصادية	
٢-٤) دورة حياة العائلة	
٣-٤) دورة حياة المحلة السكنية	
م٢ : مناطق إجتماعية في المدينة	**١٠٩-١١٨**
١- المقدمة	
٢- المنطقة الطبيعية	
٣- المنطقة الإجتماعية	
٤- القري الحضرية	
٥- الغابات الحضرية	

الموضوع	الصفحة
م ٣ : الواقع السكني في المناطق الإجتماعية ١- المقدمة ٢- أثر المنطقة السكنية ٣- تحليل التباين السكني ١-٣) التحليل على المستوى الواسع ٢-٣) التحليل على المستوى التفصيلي الدقيق	**١١٨-١٢٣**
م٤ : مناطق المشاكل في المدينة ١- المقدمة ٢- المؤشرات الإجتماعية الحضرية ١-٢) المؤشرات الذاتية ٢-٢) المؤشرات التراكمية ٣- نموذج لحالة دراسية	**١٢٤-١٣٥**
م٥ : المعاني الإجتماعية للمكان ١- المقدمة ٢- تعدد معاني المكان ٣- المحلة وسلوك ساكنيها ٤- الإدراك الذاتي للمناطق الإجتماعية	**١٣٦-١٤٦**
م٦ : نوعية الحياة في المدينة ١- المقدمة ٢- العوامل المؤثرة على نوعية الحياة ١-٢) حجم المدينة ٢-٢) الإزدحام الحضري ٣-٢) الحضارات الفرعية	**١٤٧-١٦١**

الموضوع	الصفحة
٤-٢) سهولة الوصول	
٣- قياس نوعية الحياة	
١-٣) التباين في المؤشرات الموضوعية	
٢-٣) التباين في المؤشرات الذاتية	
الفصل الرابع: الأبعاد المكانية لمشكلات إجتماعية	
م ١ : مشكلة اللامساواة الإجتماعية	**١٦٣-١٧٣**
١- المقدمة	
٢- عناصر اللامساواة الإجتماعية	
١-٢) التغذية	
٢-٢) المأوى	
٣-٢) الصحة	
٤-٢) التعليم	
٥-٢) الأمان	
٦-٢) الإستقرارية	
٧-٢) البيئة العمرانية	
٨-٢) فائض الدخل	
٩-٢) الترويح عن النفس	
٣- قياس اللامساواة الإجتماعية	
٤- أسباب اللامساواة الإجتماعية	
٥- البعد المكاني للامساواة	
م٢ : مشكلة الفقر	**١٧٤-١٨٠**
١- المقدمة	
٢- أبعاد الفقر	

الموضوع	الصفحة
٣- أسباب مشكلة الفقر	
٤- التباين المكاني لمشكلة الفقر	
٥- السياسات العلاجية لمشكلة الفقر	
م٣ : مشكلة الإنحراف والجريمة	**١٨١-٢٠٠**
١- المقدمة	
٢- التحليل الجغرافي للإنحراف والجريمة	
١-٢) تطور دراسات الجريمة جغرافيا	
٢-٢) التحليل الشمولي للجريمة	
٣-٢) بعض معطيات التحليل الجغرافي	
٣- تحليل جغرافي على مستوى العراق	
١-٣) متغيرات الدراسة	
٢-٣) المؤشرات التفسيرية	
٣-٣) مناقشة فرضيات البحث	
٤- تحليل الجريمة على مستوى المدينة	
م٤ : مشكلة الخدمات الصحية	**٢٠١-٢٢١**
١- المقدمة	
٢- خصائص البيانات الصحية	
٣- الجغرافي والمشكلات الصحية	
١-٣) الأنماط المكانية للأمراض والوفيات	
٢-٣) البيئة والمشكلات الصحية	
١-٢-٣) البيئة الطبيعية والمشكلات الصحية	
٢-٢-٣) البيئة العمرانية والمشكلات الصحية	
٣-٢-٣) البيئة الإجتماعية والمشكلات الصحية	
٤-٢-٣) الأسباب البيئية للمشكلات الصحية	

الموضوع	الصفحة
٣-٣) نظام الرعاية والخدمات الصحية	
١-٣-٣) تحليل نظام الرعاية والخدمات الصحية	
٢-٣-٣) الإنتفاع من المرافق الطبية	
م٥ : مشكلة الرفاه الإجتماعي في الوطن العربي	**٢٢٢-٢٣٠**
١- المقدمة	
٢- طريقة التحليل	
٣- العلاقة بين مؤشرات الرفاه الإجتماعي	
١-٣) المؤشرات الإقتصادية	
٢-٣) المؤشرات الصحية	
٣-٣) المؤشرات الحضارية	
٤-٣) المؤشرات السكانية	
٤- أقاليم الرفاه الإجتماعي في الوطن العربي	
١-٤) إقليم الدخل الفردي المرتفع	
٢-٤) إقليم الدخل الفردي المتوسط	
٣-٤) إقليم الدخل الفردي المنخفض	
٥- الخلاصة	**٢٣٠-٢٣١**
٦- المصادر	**٢٣١-٢٤٤**

الفصل الثاني

مناهج الدراسة في الجغرافيا الاجتماعية

المبحث الأول
منهج دراسة الرفاه الإجتماعي

١ - المقدمة

في البدء من الضروري تعريف مفهوم الرفاه Welfare وعلاقته بالجغرافيا. يعرف نوكس الرفاه بأنه إرضاء حاجات ومتطلبات الإنسان (Knix 1975). ومن الضروري التمييز بين الرفاه الإقتصادي والرفاه العام أو الرفاه الإجتماعي. يعود الرفاه الإقتصادي إلى السلع والخدمات التي يحصل عليها الناس من السوق، إضافة إلى الخدمات والمنافع العامة. ويقصد بالرفاه الإجتماعي جميع الأشياء التي تمثل نوعية حياة الإنسان (Smith 1978) ويعرف هندرسون وكواند جغرافية الرفاه بأنها تدرس التنظيم المكاني لوجود الإنسان بهدف تقييمه وفق أسس الأفضلية الإجتماعية (Henderson & Quandt 1958) ويعرفها ميشان بأنها دراسة تهدف تشكيل المقترحات التي يترتب على أساسها التنظيم المكاني للمجتمع حسب معايير الأفضل والأسوأ (Mishan 1964) أما ناث فيعدها دراسة التأثيرات المحتملة لمختلف السياسات المكانية على رفاه المجتمع (Nath 1973). تمثل التعاريف الثلاث هذه التطور في المنهج الجغرافي لدراسة الرفاه. فالتعريف الأول قد حدد الهدف بتقييم الأفضليات وهذا ينسجم مع تطور تقنيات وأهداف البحوث في نهاية عقد الخمسينات. أما في الستينات فقد تحول الهدف إلى وضع مؤشرات ومتغيرات تقيس الرفاه نتيجة إنغماس الجغرافيين بالمهام التخطيطية وتحديد مناطق المشاكل في غرب أوروباوأمريكا. أما في عقد السبعينات فقد أصبح الهدف تقييم أثر سياسة الدولة في ميدان التنظيم المكاني على الرفاه الإجتماعي، فالتغيير لم يحدث في مفهوم الرفاه، بل في هدف الدراسات الجغرافية. يقصد بالتنظيم المكاني في هذه التعاريف التوزيع الجغرافي للمصادر الطبيعية والبشرية، التوزيع المكاني للدخل وأي مصدر ذي علاقة برفاه الإنسان. كذلك يعني التوزيع المكاني للفقر أو أية مشكلة إجتماعية. وتستخدم أيضا لتعني توزيع الصناعات، السكان، مواقع التسهيلات والخدمات الإجتماعية، شبكة النقل، أنماط حركة الناس والسلع. وفي الواقع إنها تعني أي تنظيم مكاني له مساس بنوعية الحياة

Quality of life، تركيبة المجتمع الإقتصادية، الإجتماعية والسياسية التي أنتجت الأنماط المكانية للرفاه الإجتماعي.

يعرف سمث الجغرافية البشرية بأنها تدرس مَنْ يحصل على ماذا وأين وكيف . يقدم هذا التعريف هيكلاً لتحليل الأنماط الجغرافية لفرص الرفاه ونوعية الحياة. في الواقع، إن كل مفردة تساؤل ((مَنْ، ماذا، أين وكيف) تضم في حناياها عددا من المشاكل البحثية. فالسؤال عن (مَنْ) يتطلب دراسة الطرق التي تجمعت فيها المجموعة الإجتماعية في منطقة معينة وبخصائصها الإجتماعية، الإقتصادية، العرقية، . . . الخ. والسؤال عن (ماذا) يحصل عليه الإنسان فإنه يثير علامات الإستفهام عن سعادة الإنسان وقناعته ونوعية الحياة التي يحياها. أما السؤال التقليدي في الجغرافيا (أين) فيجلب الإنتباه إلى حالة اللاتوازن في توزيعات الدخول مثلاً، ويتطلب السؤال (كيف) تحديد وإستيعاب التركيب والمعالجات أو الأسباب والآلية التي تعمل ضمن المجتمع لتقود إلى ظهور أنماط من يحصل على ماذا وأين.

يضم المفهوم المكاني للرفاه جميع الأشياء التي تعزز إستقرار المجتمع، بما فيها قناعة الإنسان (سلبا أم إيجابا) وتوزيع ذلك على المجموعات الإجتماعية. فالرفاه ليس شيئا يشتق من الملاحظة المباشرة كما هو حال الطقس مثلاً، بل الحكم على التغييرات التي تحصل في المجتمع من زمن إلى آخر ومن مكان إلى آخر وذلك باعتماد فرضيات مسبقة وإتباع قواعد محددة في القياس والتقويم. إن إستخدام مصطلح الرفاه في البحوث الجغرافية يثير مصاعب جمة لأنه يستخدم ليشير إلى تباين المناطق في مستويات الحياة. فالجغرافيون يعتمدون مفردات الرفاه ومستوى المعيشة ونوعية الحياة لوصف التباين المكاني لحالة السكان، والعدالة الإجتماعية في توزيعات الخدمات والمنافع العامة.

في باديء الأمر استخدمت مؤشرات منفردة لقياس مستويات المعيشة والرفاه. وبانتشار إستخدام تقنيات التحليل الكمي والتوجه لإعتماد تقنيات التحليل المتعددة المتغيرات Multivariate والعمل على إيجاد دليل Index موضوعي لمستويات المعيشة ولقياس الرفاه الإجتماعي فقد ساد إحساس بضرورة أن تعرض المؤشرات صورة متكاملة لمختلف جوانب الحياة وحاجات الإنسان ومعطياة

رفاهه.

وبزيادة الإهتمام بموضوع الرفاه تسابق الباحثون والمعنيون بإيجاد تسميات ومصطلحات تعكس وجهات نظرهم في معنى الرفاه. فعلى ضوء النقد الموجه إلى نوعية الحياة Quakity of life غير المحدد بدقة ظهر مصطلح معيار المعيشة Standard ofliving ومصطلح مستوى المعيشة Level اللذان تم تعريفهما بدقة أكثر والتوجه لإيجاد أسس موضوعية لتطوير معايير إجتماعية -مكانية. ومصطلحي مستوى المعيشة ومعاييرها ليس من المفردات الحديثة الإستخدام، فقد إعتمدهما علماء الإجتماع منذ زمن بعيد ليشكلا هيكلاً لتحليل مجموعة كبيرة من المفردات ذات العلاقة بالرفاه.

الجاميعون والمخططون والإداريون والسياسيون يطرحون في كثير من الأحيان تساؤلات ذات طبيعة محددة لذا جاءت قياسات الرفاه الإجتماعي الأولى مجزأ وبهذا تكون الإختبارات والتحليل لعنصر واحد من عناصر الرفاه مثل الصحة أو الإسكان في الغالب. ولكن عناصر الرفاه متداخلة ومتفاعلة مع بعضها، وفي بعض الأحيان تتعارض مع بعضها بطريقة معقدة مما تستوجب النظر بعمق وشمولية. وقد بقي الرفاه أولاً بمؤشرات الدليل الإقتصادي للإنتاج ولإستهلاك معززا بمستويات الدخول ونسب البطالة والنمو الصناعي، وهذه مؤشرات لا تمثل واقع الرفاه الإجتماعي، بل جانبا منه.

ولما كانت مؤشرات الرفاه الأولى مقاسة بالمفردات المالية فقط ولأنها لا تعطي الصورة الحقيقية للرفاه الإجتماعي لذا بدأت حركة نشطة في الولايات المتحدة عام ١٩٦٦ هادفة تطوير نظام متكامل من المؤشرات الإجتماعية ذات العلاقة بالسياسات الإجتماعية إسوة بدليل كلفة المعيشة ونسب التضخم. وتمثلت العقبة الرئيسية حينها في عدم توفر بيانات أساسية عن الواقع الإجتماعي. ومع هذا فقد بادرت دول عدة لإيجاد هذه المؤشرات ووضع أدلة خاصة بها للمقارنة بين أقاليمها ومدنها. تبع ذلك قيام المؤسسات الرسمية ذات العلاقة والجامعيين باقتراح عدد من المؤشرات وإعتمادها في دراستهم عن التباين الإقليمي في الرفاه الإجتماعي. ولم تكن معظم هذه المؤشرات ذات طبيعة مكانية حتى جاء سمث وتبعه نوكس ليثروا الإهتمام بالعلاقة المكانية. ومع تعاظم الإهتمام بالمؤشرات

المكانيـة توضحت المشكلة ووضعت قيم رقميـة لها كي يتسنى تحليلها كميـا ومقارنتها زمنيا ومكانيا. (Coates et al 1977)

٢- مستوى المعيشة ومعاييره،

يقصد بمصطلح مستوى المعيشة الحالات الواقعية للرفاه، مثل: القناعة في تلبية حاجات الشخص أو المجموعة ومطاليبها. ويعني مصطلح معيار المعيشة حالات الطموح لدى هؤلاء الأشخاص والمجاميع.

وقد كان ما يعرف حينها بمكتب الإقتصاد الزراعي في الولايات المتحدة الذي أصبح لاحقا وزارة الزراعة سباقاً في تحديد معاني ومؤشرات هده المصطلحات فقد إستخدمها لإيجاد دليل يقيس مستوى المعيشة، وقد صدر الدليل الأول عام١٩٤٣. استخدم هذا الدليل لقياس مستوى المعيشة في الوحدات الإدارية الصغيرة في الولايات المتحدة، وضم الدليل سلسلة من المتغيرات المختارة لتأشير حالة تملك أو استهلاك مجموعة كبيرة من السلع والخدمات الأساسية. وفي عام ١٩٥٠ أعيد النظر في الدليل ليضم المتغيرات الأربع التالية:-

١) النسبة المئوية للمزارع المزودة بالطاقة الكهربائية،

٢) النسبة المئوية للمزارع المزودة بخطوط الهاتف،

٣)النسبة المئوية للمزارع التي تمتلك سيارة و

٤) معدل إنتاج المزرعة المباع في سنة سابقة.

وفي فترة لاحقة استبدل المتغير الأول بمتغير قيمة الأرض والمباني في المزرعة. وعلى الرغم من ضيق أفق هذا الدليل فقد عد تقنية مفيدة لتحليل التركيب الإجتماعي في الريف. وقد استخدم للمقارنة بين الريف والحضر في المجتمع الأمريكي. لقد اعتمد الدليل بكثافة في الدراسات المقارنة، ليس بين الوحدات الإدارية فحسب بل وبين المناطق السكنية، وحتى على مستوى العوائل المفردة. وأثارت الدراسات الإنتباه إلى متغيرات أخرى مثل الترويح Leisure والأمان Se curity والإستقرار الإجتماعي Social Stability، أي الإنتقال من السلع والخدمات إلى مفردات جديدة في الحياة العصرية.

في عام ١٩٥٦ أعيد النظر في مفردات مستويات المعيشة ومعاييرها، ولكن لم يؤخذ بالتغيير لأنه كان وصفيا وليس تحليليا. وفي الوقت ذاته بدأت دراسات للمقارنة بين الدول في مجال التنمية الإقتصادية والإجتماعية تنتظمها منظمة الأمم المتحدة. ففي عام ١٩٥٤ قدمت لجنة تابعة للأمم المتحدة تقريرها تحدد فيه مستوى المعيشة بسلسلة من العناصر Components يمثل كل منها فئة محددة من الحاجات الإنسانية التي تقاس القناعة بها بعدد من المؤشرات الموضحة في الجدول رقم (٣). ولما كانت الشعوب والأمم متباينة في مستويات معيشتها لذا ضم الدليل المفردات المشتركة والأساسية بصيغتها العامة. ولهذا الدليل أهميةخاصة في عملية التنمية القومية والإقليمية وقياس درجة النجاح في تحقيقها.

جدول رقم (٣)

دليل الأمم المتحدة لقياس مستوى المعيشة

نوع الحاجة	عناصرها	المؤشرات
أ- جسمية	١- التغذية	أ- سعرة حرارية/ شخص
		ب- بروتين/ شخص
		جـ- نسبة السعرات المأخوذه من الحبوب والجذور والسكر
	٢- المأوى	أ- نوعية من السكن
		ب- كثافة الإشغال
		جـ- إستقلالية الإشغال
	٣- الصحة	أ- توفر الرعاية الصحية
		ب- الموت بسبب الأمراض
		جـ- نسبة الوفيات
ب- ثقافية	٤- التعليم	أ- نسبة الدخول إلى المدارس
		ب- نسبة التخرج من المدارس
		جـ- نسبة تلميذ/ معلم

٥- الترويح	أ- معدل وقت الترويح
	ب- توزيع الصحف اليومية
	ج- نسبة أجهزة المذياع والتلفاز
٦- الأمان	أ- حالات الموت بسبب العنف
	ب- نسبة السكان المشمولين بمساعدات البطالة أو المرض
ج- الأعلى	ج- نسبة السكان المتقاعدين
٧- فائض الدخل	أ- الدخول الفائضة عن تلبية الحاجات الأساسية الجسمانية والثقافية

المصدر : Knox.p.l.1975.26

١-٣) التباين الدولي في الرفاه الإجتماعي

تهتم الأمم المتحدة ومنذ أمد بعيد بتطوير قياسات الرفاه الإجتماعي لمسؤليتها في رفع المستوى المعيشي لعدد من الشعوب، وبدون هذه القياسات يصعب الحكم وتقييم ما تحقق في هذا المضمار. وقد ضم الدليل سبعة عناصر مؤشرة في الجدول رقم(٣) وهي: التغذية، المأوى، الصحة، التعليم، الترويح ، الأمان وفائض الدخل. وتعني القيمة (صفر) أن الإنسان يعيش على مستوى الكفاف وإنه قادر على البقاء بالحدود الدنيا، والقيمة (١٠٠) تمثل القناعة والرضا الكاملين لإشباع الحاجات الجسمانية والثقافية وفائض في الدخل بمقدار (٥٠) دولاراً سنويا. وقد أكدت نتائج المقارنة بين دول العالم على أن الشعوب الصناعية ذات المستويات العالية ترتفع فيها درجة القناعة في إشباع جميع حاجاتها ماعدا حالة الأمان. وفي الدول الأقل تطورا فإن مستويات المعيشة أدنى لأن مستويات القناعة فيها أقل نسبيا في تلبية الحاجات الجسمانية (التغذية) والصحة والمأوى، مع قناعة معتدلة بتلبية الحاجات الثقافية (التعليم، الترويح والأمان). وفي الأقطار المختلفة تسود المستويات الوطئة في المعيشة حيث يتدنى مستوى الخدمات الصحية والأمان.

٢-٣) التباين الإقليمي في الرفاه الإجتماعي

في الدول النامية يصعب تحديد درجة التباين بين الأقاليم في مستوي الرفاه الإجتماعي بسبب قلة أو عدم توفر البيانات المطلوبة، ومع هذا فقد جرت محاولات عديدة أكدت وجود فروقات كبيرة بين الريف والحضر، وبين المدن حسب حجمها. قدم كوتسCoates وزملاءه ملخصا لعدد من الدراسات، نختار منها نموذجا عن التباين الإقليمي في الهند. تشير خارطة الرفاه الإجتماعي في الهند إلى الأقاليم ذات القيم السالبة تعاني من إنخفاض مستويات التعليم، الدخل، التحضر، والتصنيع. والحقيقة أن هذه عناصر متداخلة مع بعضها. فالتصنيع والتحضر مترادفان ومتداخلان، تنتج عنها مستويات الدخل والتعليم. تقابلها الأقاليم ذات القيم الموجبة حيث ترتفع نسب التعليم والدخل والتحضر والصناعة. تترافق النسب العالية مع وجود المدن العملاقة Met-ropolitan مثل بومبي، كلكتا، سيملا، أحمد أباد، إندور، كاتبور، بانكلور وحيدر أباد. كما سجلت القيم السالبة في المناطق الصحراوية في الجنوب الغربي لراجستان والمناطق الريفية جنوب غرب أوريسو، ،أوتار برادش وأسام.

درس لويس التباين الإقليمي في شمال شرق الولايات المتحدة معتمدا المؤشرات التالية عن مستوى المعيشة:-

١) الهجرة الداخلية إلى الإقليم، ٢) المستوى التعليمي للبالغين، ٣) تاركي مقاعد الدراسة من البالغين ٤) نسبة إشتغال القوة العاملة في مهن معقدة نسبيا ٥) نسبة البطالة، ٦) نسبة المساكن الجيدة، ٧) نسبة المساكن غير الجيدة، ٨) نسبة إمتلاك خطوط الهاتف، ٩) الوعي السياسي من خلال المشاركة في الإنتخابات ١٠) نسبةُ الخدمات الصحية إلى السكان ، ١١) نسبة توفير المعايير الصحية في المساكن و ١٢) نسبة إستقرارية حياة الأسر.

وقد جمعت البيانات على مستوى الوحدات الإدارية Counties ثم تم ترتيبها حسب درجة الأفضلية نزولاً إلى الأسوأ، وجمعت قيم المتغيرات مع بعض لتشكل دليلاً يساعد في تصنيف الوحدات الإدارية إلى فئات وإسقاطها على الخرائط لتفسيرها. وقد لوحظ أن الوحدات الإدارية التي سجلت قيما موجبة في الدليل هي التي تتسارع فيها حركة الطبقة المتوسطة للإنتقال إلى سكنى الضواحي

وحيث تزدهر الخدمات الصناعية.

وفي فرنسا عين أول وزير لنوعية الحياة عام ١٩٧٤ وأسفرت الدراسة الأولى عن وجود تباين إقليمي حاد في فرنسا. إعتمدت الدراسة (٤٨) ثمان وأربعون متغيرا تمثل ستة عناصر تشكل مع بعضها نوعية الحياة، هي:

١) المستوى الصحي، ويؤثر بنسب وفياة الأطفال، العمر المتوقع، توفر الأطباء، عدد الأسرة في المستشفيات وتوفر الصيدليات.

٢) مستوى البيئة، ويؤشر بنسب تلوث الماء، إستعمالات الأرض، الظروف المناخية، توفر واستعمال التسهيلات الرياضية المفتوحة، وجود مواقع سياحية وتوفر المطاعم الجيدة.

٣) الإستقراء الإجتماعي، ويقاس بنسب الجريمة، إنحراف المراهقين، الطلاق، الإنتحار والإدمان على الكحول والمخدرات.

٤) ماديات الرفاه، وتؤثر بالواقع السكني، ملكية السيارة، الهاتف، وإستلام مساعدات مالية من مؤسسة الرفاه والخدم الإجتماعية.

٥) النمو الإقتصادي، ويقاس بالدخل، الإنتاجية، البطالة والهجرة.

٦) الحالة الثقافية والترويح، تؤشر بفرص التعليم وما يتحقق منه، ملكية جهاز التلفاز، قراءة الصحف، توفر المسارح والسينما وتوفر المكتبات والمتاحف.

اشتق دليل الرفاه من قيم (٤٨) متغيرا بعد وضع قيم وزنية لكل منها حسب أهميته التي أقرتها لجنة خبراء إقتصاديين وعلماء الإجتماع والنفس. ولم تؤشر الخرائط التي رسمت وجود علاقة مباشرة بين أنماط النشاط الإقتصادي أو موارد الثروة أو مع التقسيمات الجغرافية التقليدية بين الشمال والجنوب، أو الغرب والفقير نسبيا والنصف الشرقي الغني. لقد تكونت ثلاثة نطاقات تمثل مستويات نوعية الحياة تمتد من الغرب إلى الشرق عبر فرنسا. المستوى الأدنى يمتد من بريتاني إلى اللورين ليضم وادي اللوار الأسفل- نورماندي والمناطق الصناعية في الشمال وضواحي شرق باريس ويمتد النطاق الأفضل من البيريني والألب إلى ساحل البحر المتوسط وليون والألب في سافوي. وقد شكلت باريس منطقة جيدة في الشمال. بين هذين النطاقين تمتد سلسلة واسعة من التباينات في الرفاه الإجتماعي.

٣-٣) تباين المدن في مستويات الرفاه الإجتماعي،

تعود عملية المقارنة بين المدى إلى نهاية عقد الأربعينات حيث وضع Buck-atzsch دليلاً للظروف الإجتماعية للمقارنة بين مدى إنكلترى وويلز معتمدا بيانات تتعلق بالدخل، البطالة، الواقع السكني وتركيبة الطبقات الإجتماعية. تبع إصدار هذا الدليل مقارنات بين المدن على ضوء أساسها الإقتصادية لتصنيفها وظيفيا. وجاءت أولى الدراسات في بريطانيا للمقارنة بين المدن على أساس معاير الرفاه الإجتماعي عام ١٩٧٥ حيث قامت الباحثة Holtermann بتحليل بيانات جمعت على أساس الوحدات الإحصائية الصغيرة للتعداد العام لسنة ١٩٧١. وقد إختارت الباحثة أسوأ (١٥٪) من هذه الوحدات في ثلاثة مؤشرات هي:-

١) النسبة المئوية للساكنين الذين يعيشون في كثافة سكنية عالية،
٢) النسبة المئوية للساكنين الذين لا تتوفر في مساكنهم التسهيلات الأساسية (الماء الساخن، الحمام الثابت والمرافق الصحية) و
٣) مستوى البطالة بين الذكور.

لاتعكس هذه الدراسة حالة الحرمان الفردية بل إرتفاع نسبة من يعاني من الحرمان في الوحدات الإحصائية في المدن.

قبل هذه الدراسة قامت دائرة التخطيط الحضري باعتماد هيكل مستوى المعيشة لتقييم مستويات الرفاه في الأقاليم على أساس توفر الخدمات الحضرية. إنها دراسة تقييم الواقع الحضري بين الأقاليم. أختيرت خمسة متغيرات لتؤشر الرفاه الإجتماعي وفي:-

١) المعدل الشخصي للدخل السنوي،
٢) نسبة الساكنين الذين لديهم سيارتان فأكثر،
٣) نسبة الوحدات السكنية بقيمة ضريبية قدرها (٢٠٠) مائتي باوند فأكثر،
٤) نسبة الإنتاج إلى السكان و ٥) نسبة العمال المهنيين.

أختيرت المستوطنات التي تضم(٥٠) خمسين ألف نسمة فأكثر في إنكلترا و ويلز للتحليل. جرى تحليل العلاقة الإحصائية بين المتغيرات الخمسة مع (٦٨) ثمان وستون مؤشرا في الجولة الأولى من التحليل. بعدها اختيرت المؤشرات

ذات العلاقة القوية المتداخلة مع المؤشرات الواقعية، واختيرت خمسة عشر تسهيلة وخدمة إجتماعية لتؤشر المعيار العالي للمعيشة، وهي مرتبة تنازليا حسب أهميتها أدناه:-

١) وجود عيادات الأطباء وأطباء الأسنان ٢) وجود ساحات لعبة الكولف، ٣) وجود مطاعم ممتازة ٤) وجود أروقة العاب التسلية والترويح، ٥) وجود دور السينما ٦) وجود الأسواق الكبيرة مثل محلات ماركس وسبنسر، ٧) وجود المستوصفات والمستشفيات ودرو الرعاية الصحية، ٨) وجود المكتبات العامة ،٩) وجود مكتبات متخصصة،١٠) وجود فنادق الدرجة الممتازة ١١) وجود الملاعب الرياضية، ١٢) وجود الجامعات والكليات، ١٣) وجود المسارح، ١٤) وجود المطاعم، ١٥) وجود مكاتب الخدمات الإدارية.

اعتمدت هذه المؤشرات للمقارنة بين تسع أقاليم تخطيطية وأسقطت النتائج على الخارطة لتعرض درجة القناعة أو النقص في تلبية الحاجات الإجتماعية. وقد قيست الحاجة استنادا على التركيب الإقتصادي-الإجتماعي والتركيب العمري للسكان ومستوى الطلب الذي تشكله هذه التركيبة في كل مستوطنة وإقليم.

٤-٣) تباين مستويات الرفاة الإجتماعي داخل المدينة

قدم سمث مقارنة بين مستويات الرفاه الإجتماعي في مدينة تامبو في ولاية فلوريدا مستخدما طريقة التحليل العاملي Factor Analysis مستدلاً على أن المناطق الفقيرة تمتد من حول المنطقة التجارية المركزية حتى حدود المدينة باتجاه الشمال الشرقي، وتحتل أفضل المناطق الإتجاه المعاكس لها. أوضح التحليل أن الأنماط متداخلة وتتعارض جزئيا لعكس عوامل المشاكل الإجتماعية التي تركزت حول مركز المدينة والحالة الإقتصادية-الإجتماعية حيث يعيش المرفهون وذي المستويات التعليمية العليا في جنوب غرب المدينة، والعزل الإجتماعي الذي تمثل بمناطق سكن الزنوج في شمال شرق المدينة، ومناطق الحرمان التي تركزت حول مركز المدينة وباتجاه الشمال وشرق المنطقة التجارية المركزيةCBD. إستخلص سمث من هذه الدراسة أن تصنيف سكان المدينة على أساس المشاكل الإجتماعية أفضل وأكثر واقعية من تصنيفهم على أساس الحالة الإقتصادية- الإجتماعية أو

لمرحلة في دورة الحياة أو الأساس العرقي (Smith.1973).

٤- مراحل دراسة الرفاه الإجتماعي،

يمر التحليل الجغرافي للظواهر والمشاكل الإجتماعية وفق منهج الرفاه الإجتماعي بمراحل خمس حسب رأي سمث، هي:-

أولاً: الوصف Description،

المهمة الأولى للجغرافي هي وصف الأنماط المكانية للرفاه، ويتم هذا بإسقاط قيم المؤشرات على خرائط التوزيعات لمنطقة الدراسة بهدف تحديد التباينات المكانية والمقارنة بينها. وفي حالة تشابه الأنماط المكانية بين أكثر من مؤشر أو متغير يعتمد التحليل الإحصائي لتحديد درجة التشابه (العلاقة الإحصائية بين المتغيرات)، وتحويلها إلى أبعاد Dimensions أو العوامل Factors تساعد في تفسير الأنماط. فالوصف يجب أن يكون علميا منهجيا وليس لفظيا فقط.

ثانيا : التفسير Explanation،

ويعني التفسير من خلال الإجابة عن سؤال يبدأ ب"كيف" لتحديد الصلة السببية بين مختلف النشاطات التي يمارسها المجتمع ولها مساهمة في تحديد من يحصل على ماذا وأين. المطلوب هنا معرفةأسباب توزيعات النشاطات الإقتصادية والخصائص السكانية لأنها تقود إلى معرفة تركيبة المجتمع وآليته. تعني كيف هنا معرفة العمليات والمعالجات Processes التي شكلت الأنماط وتؤثر عليها.

ثالثا: التقويم Evaluation،

ويعني وضع الأحكام على مختلف الأفضليات للأوضاع الجغرافية والتراكيب الإجتماعية التي أنتجت هذه الأوضاع. ومن الضروري أن تستند هذه الأحكام على معايير المساوات وفاعلية كل مفردة من مفردات الرفاه. وبوضع قواعد مناسبة يمكن تقييم الأنماط المكانية للإنتاج أو التوزيعات المختلفة الأخرى مقابل معايير العدالة الإجتماعية. أي الإجابة عن سؤال مفاده: هل حصل سكان المنطقة أو المجموعة قيد الدرس على ما يستحقوه؟ ويمكن تقييم جميع الأنماط المكانية بالإشارة إلى مساهمتها في الرفاه، مع الأخذ بالنظر أن الهدف هو زيادة الرفاه من خلال زيادة المنفعة وإنقاص الكلفة. يتطلب الأمر أن تترفر في الباحث

القدرة على التمييز بين ماهو أفضل وما هو أسوأ كي يستطيع الأفضليات والمناطق كل حسب درجته ومكانته الصحيحة

رابعا: العلاج Prescription.

كما يعطي الطبيب وصفة للعلاج فالبحوث المعنية بحل مشكلة مطلوب منها وصفة للعلاج حسب نوع المرض وحدته وقابلية الجسم على التحمل. العلاج هنا يتم بوضع مقترحات تخطيطية تعالج الأسباب كما تخفف من ظاهرة الحمى وتسكن الآلم. إنها تتطلب موقفا موضوعيا وحازما حول من يجب أن يحصل وعلى ماذا وأين.

خامسا: التضمين Implementation

إنها المرحلة التالية لوضع العلاج (خطة التنمية)، إنها متابعة تأثير العلاج على الأنماط المكانية، معرفة التبدلات التي تحصل في مستويات الرفاه وتنظيمها المكاني. فالخطة تتحول إلى سياسات تنفيذية وبرامج وهذه جميعاً تتطلب مراقبة Monitoring تنفيذها وتأثيراتها والمستجدات التي تطرأ. إنها مرحلة جعل العلاج ذي فاعلية وتحديد نقاط الخلل سواء في الخطة أو التنفيذ.

المبحث الثاني
المنهج البيئي

١ – المقدمة

مع بداية هذا القرن، تأثرت العلوم جميعا بنظريات دارون في النشوء والإرتقاء وأصبحت مفردات علوم الحياة ومصطلحاته شائعة الإستعمال في مختلف العلوم. وظهرت مدرسة شيكاغو البيئية التي حاولت إيجاد مشابهات في مجتمع المدينة لما هو موجود في الطبيعة من عمليات تغلغل وإنتشار وتنافس والبقاء للأصلح والنمو العضوي وغيرها. الأهم من هذا، لم تكتف العلوم بالإشتراك في المصطلحات بل وفي الموضوعات فظهرت الدراسات الحَضرية Urban Studies، والدراسات البيئية Environmental Studied وغيرها. وكان للجغرافيا نصيب في هذا النشاط بحكم كونها علما حدوديا يشترك مع مختلف العلوم في الإهتمام بالإنسان والأرض. فالجغرافيا تدرس الإنسان ضمن البيئة التي يسكن فيها ويعمل وينشط، إنها تدرس البيئة الطبيعية وتلك التي صنعها الإنسان، وشبكة العلاقات المتداخلة بينها.

هدفت مدرسة شيكاغو البيئية تطبيق مفاهيم علوم الحياة Biology والدراسات البيئية Ecology على المدينة باعتبارها تمثل وحدة بيئية وكائناً حياً يعيش في البيئة (الإقليم). أراد رواد هذه المدرسة تطبيق نظرية دارون في النشوء والإرتقاء والتنافس على المصادر النادرة من أجل البقاء على مجتمع المدينة. فقد ورد عن بارك (أحد رواد هذه المدرسة) أن للمجتمع البشري مستويين، الأول حيوي Bio-Tictievel حيث تحدث المعالجات البيئية المتنافسة للتوسع والإنتشار، أي الإنسان كمخلوق تقوده غريزة حب البقاء وليس كقيمة إجتماعية ومباديء إنسانية. وفي المستوى الثاني، المستوى الحضاري Cultural Level، حيث ينتج المستوى الأول تباينا مكانيا يفسره المستوى الثاني ويعلله. وعلى هذا الأساس جاءت نظريات التركيب الداخلي للمدن والنماذج المعروفة لبرجس وهومر هويت وغيرهم. فبرجس على سبيل المثال لا الحصر قد أشار إلى غزو الإستعمالات التجارية والصناعية للمنطقة الإنتقالية المحيطة بالمنطقة التجارية المركزية (C.B.D) والتوسع

على حسابها، وقسم المدينة إلى نطاقات تسكنها المجاميع الإجتماعية حسب مستوياتها الإقتصادية- الإجتماعية. فالعمال يسكنون في وقرب المنطقة الإنتقالية بينما الأغنياء يحتلون أفضل المناطق في الضواحي. الفكرة الأساس هنا أنه مع نمو المنطقة التجارية المركزية تندفع النطاقات الأخرى إلى التراجع بعضها على حساب بعض بإتجاه أطراف المدينة نتيجة التنافس للحصول على حيز أكبر باعتماد معالجات التغلغل والإنتشار ثم السيادة.

٢- المدينة كوحدة بيئية

نتيجة النقد الموجه إلى مدرسة شيكاغو ومنهجها البيئي فقد طور روادها فرضياتهم وأفكارهم واهتموا بدراسة المجتمع ووظائفه التي يؤشر توزيعها مكانيا. ونظر للمدينة كنظام بيئي مفتوحOpen System فالإنسان يتكيف مع البيئة والتبدلات التي تحصل فيها. وقد حددت عناصر هذا النظام ب: السكان، التنظيم الإجتماعي، البيئة، التكنلوجيا. وتم تعريف السكان بعدد أفراد المجتمع المحلي Community، وقصد بالتنظيم شبكة العلاقات بين أفراد المجتمع من جهة، وبينهم والبيئة من جهة أخرى. وتمثل البيئة غطاءً واسعاً لكل الظواهر الخارجة عن المجتمع المحلي، أما التكنلوجيا فتمثل المستوى الحضاري الذي يعيشه المجتمع.

استنادا على هذه النظرة جرت دراسة التركيب الإجتماعي للعديد من المدن من قبل عدد غير قليل من الباحثين. إعتمدت الدراسات الأولى ثلاثة أدلة In-dices هي: التدرج الإجتماعي، التحضر والعزلة الإجتماعية. وقد حدد التدرج الإجتماعي على أساس ثلاثة مؤشرات هي: المهنة، مقدار الإيجار للوحدة السكنية والمستوى التعليمي لرب الأسرة. وحدد التحضر بمؤشرات درجة الخصوبة، نسبة النساء العاملات وعدد الأسر المنفردة. وتمثلت حالة العزلة بدرجة تركيز المجموعة العرقية أو الدينية في مكان معين.

بانتشار إستخدام الحاسبات وبرامجياتها توسعت دائرة التقنيات المستخدمة في التحليل الكمي، وتسابق الباحثون في إستخدام تقنيات التحليل العاملي Factor Analysis (الذي يسمى أيضا بالعامل البيئي Factorial Ecology) ونظر للواقع

السكني كعامل رئيسي Key Factor يفسر التباين المكاني للتركيب الإجتماعي للمدينة. وقد ذهب البعض أكثر من ذلك ليقول : قل لي أين تسكن أقل لك من أنت (Ley 1983). فالموقع السكني له بعدين، أفقي في الحيز الحضري وعمودي في البنية الإجتماعية.

يؤمن العديد من الجغرافيين بأن الثورة التي حصلت في الدراسات الحضرية مردها إلى إستخدام تقنيات تحليلية متطورة (Johnston 1980) ومن هذه التقنيات مجموعة تحليل العامل البيئي والتي تعتمد لتؤشر جانبين: الخصائص الإجتماعية غير المكانية وأنماط توزيعها مكانيا. تساعد هذه التقنية في تفسير أنماط العلاقات بين المتغيرات قيد الدرس.

لقد تباينت تفسيرات الباحثين في تعليل التباين الإجتماعي-المكاني داخل المدينة. فقد نسب البعض هذا التباين إلى حركة الهجرة من الريف إلى المدينة وزيادة عدد السكان الحضر، وقيل أن تباين الكثافة السكنية يؤدي إلى تباين في طرز الحياة الحضرية وما ينجم عنها من تغاير إجتماعي وعد البعض الآخر الخبرة الحضرية وتنظيم النشاطات والتركيب السكاني (الديموغرافي) عوامل تفسر هذا التباين. فتباين الخبرة الحضرية يؤدي إلى تراتب المجاميع الإجتماعية طبقا لوضعها الإقتصادي-الإجتماعي الذي تحدده طبيعة المهن التي يمتهنوها. ويصاحب التباين في تنظيم النشاطات الإجتماعية تباين في طرز الحياة، وينتج عن التباين في التركيب السكاني بروز مجاميع معينة على أسس عرقية أو دينية (Liy 1983).

بدأ الدراسات البيئية وصفية أول الأمر هدفها تحديد التباين المكاني للتركيب الإقتصادي-الإجتماعي لمجتمع المدينة، ومع الأيام اتبع المنهج البيئي لتحليل المناطق الإجتماعية ومناطق المشاكل في المدينة واستفيد منه في رسم السياسات الإجتماعية لمعالجة المشاكل (Johnston 1980). ليس هذا فقط، بل واعتمد لتحليل بيئة الجريمة وبيئة توطن الأمراض وإنتشارها. لقد أثبت هذا المنهج فاعليته في معظم إن لم يكن جميع مجالات الجغرافية الإجتماعية التي استخدم فيها.

المبحث الثالث
منهج دراسة المجموعة الإجتماعية

أ- المقدمة،

عند دراسة المجتمع يتحدد الباحث بمقياس Scale معين في دراسته: الفرد ، المجتمع برمته أو مجاميع معينة من المجتمع. قد يشكل الفرد حالة دراسية Case Srudy بحد ذاته، وهذه حالة نادرة. من الضروري التميز هنا بين إعتماد الفرد كعينة ودراسته لذاته. فالفرد كوحدة عينة قد يمثل نفسه أو المجتمع أو الفئة أوالمجموعة التي ينتمي إليها. في جميع هذه يعتمد الفرد كعينة.

إن دراسة المجتمع إجمالاً Macro-Scale تؤدي إلى معرفة تراكمية تضيع فيها الكثير من التفاصيل التي قد تكون ضرورية، خاصة عند وضع السياسة الإجتماعية. وتركز دراسة الفرد على التفاصيل الثانوية Micro-Scale التي قد تكون مملة وغير ضرورية (إلا في حالات نادرة). لهذا السبب فإن تقليل التفاصيل غير الضرورية ولتمثيل المجتمع بصورة علمية يميل الباحثون إلى دراسة المجاميع التي يتشكل منها المجتمع Meso-scale. بعبارة أدق، دراسة عناصر المجتمع إشتقاقا (منفردة). وهذا المنهج ليس حصرا على باحثين في علم دون آخر، وسواء أكان مجتمع العينة المجتمع البشري أو غيره من المجتمعات التي يهتم بها العلماء والباحثون.

تهتم الجغرافيا الإجتماعية Social Geography بدراسة أنماط الناس حسب خصائصهم ونشاطاتهم. ولما كانت معنية بالإنسان في مجتمعه فقد برزت مشكلة مستوى الدراسة Scale (الفرد أم المجتمع). لحل هذه المشكلة تعتمد حالة وسط من خلال إيجاد هيكل إجتماعي ذي أقسام لها معنى ووجود وتكون في الوقت ذاته أساساً لجمع البيانات وتحليلها. من الضروري أن يتحدد هذا الهيكل قبل القيام بأية دراسة منهجية للسلوك المكاني للمجتمع. أي الإرتكاز على المجاميع الإجتماعية وإعتمادها كموضوع للبحث والتقصي.

٢- أنواع المجاميع الإجتماعية.

تتباين أحجام (عدد أفراد) المجاميع الإجتماعية، ولكن يمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسيين إستناداً على العلاقات الإجتماعية والتفاعل داخل كل مجموعة. تسود بين المجموعة الأولى الإتصالات غير الرسمية informal واللقاء وجهاً لوجه، وتمثل عنصراً حيوياً في المجتمع. تعد العائلة مجموعة أولية توفر الأفراد العناية والتأثيرات الإجتماعية المختلفة. إنها المدرسة الأولى التي يتعلم منها الإنسان الكثير من القيم والسلوكيات. العائلة موجودة في كل مجتمع وهي كبقية المؤسسات الإجتماعية الأخرى في حالة تغير وتبدل مستمر وتكيف مع التبدلات الإجتماعية الواسعة الحاصلة في المجتمع الكبير. إضافة إلى العائلة يهتم جغرافيو المجتمع بمجموعة المحلة (المجتمع المحلي Community). على الرغم من التباين الكبير بين الباحثين في تعريف المجتمع المحلي إلا أن هذا لا يمنع وجود سمات ومعايير مشتركة مثل العلاقات العامة، التفاعل الإجتماعي والرقعة الجغرافية.

يعتقد البعض بعدم وجود مجتمعات محلية في المجتمع الغربي الحديث. مع هذا، يعتقد جونز وإيللي بأن تحديد ودراسة المجتمع المحلي أمرٌ مفيد في الدراسات التفصيلية لإعتمادها كمجاميع أولية ذات تفاعل مكاني. في المجتمعات المحلية تعتمدُ العلاقات الإجتماعية الإستيعابَ الكامل لموقع كل شخص في المجتمع أساساً لها، وتكون قواعد السلوك و الأعراف الإجتماعية محددةو متطابقة مع بعضها وهي شاملة لا تقبل التجزئة (Jones & Eyles, 1979).

في هذه المجتمعات يتفاعل الناس مع بعضهم بطرائق عديدة ومتشعبة. إضافة إلى هذا، تكون حضارة Culture المجموعة متجانسة نسبيا وأعضائها قليلو الحراك الإجتماعي والمكاني. لهذه المجموعات ولاء للمجتمع والمكان ويكون السلوك منتظماً تقوده العادات والعائلة ورجال الدين، وتمتاز المجموعة بتكامل إجتماعي متين. هذه سمات المجتمعات المحلية في الدول النامية، وهي أقل "حدة" في المجتمعات "المتقدمة". بسبب هذه الخصائص لا يمكن إستبدال دراسة المجموعة بدراسة المجتمع الكبير Society وتبقى لدراسة المجتمعات المحلية والمجاميع الثانوية أهميتها في البحوث الإجتماعية والجغرافية، والجغرافية على وجه

الخصوص لعلاقتها بالأنماط المكانية للتركيب الإجتماعي. في المجتمعات الكبيرة تكون الصلات غير المباشرة هي السائدة ويتناقص الولاء للمكان والمجموعة. في المجتمعات المتقدمة يترك الناس مناطق سكنهم للذهاب للعمل أو التبضع من مراكز التبضع الكبرى أو لممارسة النشاطات الأخرى ولهذا تكون الصلات والعلاقات مع " العالم" خارج منطقة السكن أوسع وتتطور وتزداد مع مرور الزمن، ومع تطور تقنيات الإتصالات تتدنى كمية الإتصالات المحلية وتتبدل نوعيتها أيضا. لهذا السبب يتدنى مستوى التكافل الإجتماعي في الحي السكني وتزداد "الغربة" فيه ويكون الإحساس بالإنتماء إلى الطبقة أو المهنة أعمق وأكثر تأثيرا من الإنتماء إلى "المحلة". في مثل هذه المناطق تسهل عملية إرتكاب الجرائم وتصعب عملية التعرف على الجاني.

على الرغم من زيادة كمية الصلات الخارجية لم تختفي المجاميع الأولية إلا أن وظائفها قد تبدلت. فهي تعمل الآن بمستويات مختلفة، وبقيت العائلة كأهم مجموعة أولية تستحق الدراسة.

يجتمع الأفراد مع بعضهم ليشكلوا مجاميع ذات أهداف خاصة. أي تشكيل مجاميع ثانوية ذات مصالح شخصية هدفها حماية هذه المصالح وتطويرها. قد تكون هذه المصالح ثقافية أو إقتصادية أو سياسية. تشكل هذه المجاميع مادة حيوية للدراسة الجغرافية لتحليل المعالجات التي أدت إلى ظهور وتركز هذه المجاميع في مكان دون آخر والتوزيع الجغرافي لنشاطاتها وفعالياتها.

تقسم المجاميع التي تتكون قصد تحقيق أهداف معينة إلى صنفين: التي تعتمد نشاطات أعضائها أساسا لها، وتلك التي تكون فيها هذه النشاطات وسيلة لتحقيق أهداف عامة. الجمعيات التعاونية والنوادي الخاصة مثال للصنف الأول، ويضم الصنف الثاني إتحادات العمال والنقابات والأحزاب السياسية وحتى العصابات. دراسة هذه التشكيلات ضرورية أيضا لأن الإنتماء اليها طواعية عند الحاجة للإشتراك بها. ولأن الكثير من نشاطات هذه المجاميع ذات مضامين وتأثيرات مكانية لذا فقد إهتم بها الجغرافيون. (Jones And Eyle, 1979).

لا ينصب إهتمامنا على الأفراد بحد ذاتهم بل كأفراد ضمن مجموعة معينة. ويهتم الجغرافيون بتراكم سلوك الأفراد وليس سلوك المجاميع. ويرجع السبب إلى

طبيعة البيانات المتوفرة وتبويبها. فالإحصاءات الرسمية لا تعتمد المجاميع الإجتماعية أو الجنس دائماً بل تعتمد تراكم البيانات حسب الفئة العمرية مثلاً. ولا ننسى إن تباين سلوك المجاميع الإجتماعية في الحيز لا يشكل هدفاً للدراسة بل تمييز الأشياء والظواهر المكانية حسب جاذبيتها أو تجمع الأفراد فيها أو عندها. ففي دراسات التبضع (التسوق) ينصب إهتمام على تراتب المراكز التجارية والمدن. وقد يتركز الإهتمام على المجاميع المتبضعة، وفي هذه الحالة تصبح جزءً من إهتمام جغرافيو المجتمع ومحط دراستهم المنهجية.

ترتبط درجة تماسك المجموعة بعوامل إقتصادية وحضارية. يميل الأفراد عندما يكونون في وضع إجتماعي إقتصادي متشابه إلى تجميع بعضهم أكثر مما لو كانواغير متجانسين. إضافة إلى هذا، فإن الأفراد الذين يجتمعون في مجموعة معينة قد يمتلكون أفكاراً متشابهة عن العالم المحيط بهم وقد يتشابه سلوكهم فيه. وهنا من الضروري الإشارة إلى أن درجة ترابط المجموعة تتعلق بالتركيب القيمي لها. أي ماهي الأهداف التي تقود أفعال المجموعة ونشاطاتها؟ ما نظرتها إلى العالم خارج المجموعة؟ وينظر إلى النظام الإجتماعي كمجموعة من القواعد، وبدون نظام قيمي تصبح الحياة الإجتماعية غير ممكنة. فبوجود معايير وقيم مشتركة يتنفع منها أفراد المجموعة يمكن توقع نوعية ومستوى العلاقات والسلوكيات السائدة. يعني هذا دراسة المجموعة من الناحية النفسية والحضارية، وبهذا يكون الهيكل النظري لدراسة المجاميع في الحيز Space حاوياً الأبعاد النفسية والحضارية لها بهدف إكتشاف الآراء والمفاهيم المشتركة والمنظور العام للمجموعة. لتحقيق هذا، من المهم جداً أن يركز الباحث على الصورة الذهنية عند الأفراد وإدراكهم للحيز الذي تعيش فيه المجموعة وتنشط.

تصنف المجاميع إما على أساس الإشتراك في خصائص معينة (أو مصالح محددة)، وهذا سائد في المجتمعات العصرية، أو كما هو حال المجتمعات التقليدية تعتمد المجموعة الذهنية group in the mind (المجموعة التي ينتمي إليها ذهنياً ونفسياً). من الضروري تأثير الفروقات بين المجاميع على التركيب المكاني. نقطة البدء في مثل هذه الدراسات هي معرفة طبيعة العلاقات بين المجاميع.

٣- العوامل المؤثرة على المجموعة

في جميع المجتمعات، الغنية والفقيرة، تكون المصادر الإقتصادية محددة. ففي مجتمعات الصيد والجمع هناك موازنة بين المصادر والسكان. وفي المجتمعات الزراعية تكون هناك نوعا من العدالة النسبية في توزيع المصادر. أما في المجتمعات الصناعية فيوجد تنافس وتعارض في المصالح بين أفراد المجتمع. يرجع التعارض هنا إلى إختلاف معايير توزيع المصادر: من يستطيع الحصول على ماذا؟ وهناك من يعد هذا التعارض ضرورياً للتجديد والإبتكار وكحوافز للمزيد من العمل والإنتاج. تتحدد درجة الوصول إلى و الحصول على المصادر وتنظيمها بين المجاميع على مقدار سلطة كل مجموعة من هذه المجاميع الإجتماعية. تتحدد قوة المجموعة بموقعها فن السوق، أي قدرتها على التنافسة وهذا ما دعى البعض للقول بأن الطبقة الإجتماعية هي الأهم لأنها تحدد الموقع في السوق وتؤثر فيه. فالأموال التي تكسب من العمل تحدد نوع المنزل و المستوى التعليمي، وبهذا تستند السلطة على الطبقة الإجتماعية الإقتصادية. يؤثر موقع الفرد أو المجموعة في التركيب الإجتماعي على قدرة الفرد أو المجموعة في الحصول على المصادر النادرة و المرغوبة المتوفرة. يحدد هذا الموقع في التركيب الإجتماعي درجة الوصول إلى المصادر النادرة والحصول عليها (مثل السلطة والثروة)، وهذه بدورها تؤثر على التركيب المكاني والوصول إلى المصادر المكانية. فإذا وزعت المصادر لصالح من هم في السلطة، وهذا متوقع عندما سيعكس التركيب المكاني توزيع السلطة في المجتمع. تعمل البرامج التخطيطية والتنموية إلى التخفيف وتقليل الفروقات وحل التعارضات الناتجة عن هذا التوزيع من خلال الضمان الإجتماعي والخدمات الصحية و التعليمية وغيرها من التسهيلات وتوفيرها لمن هم في حاجة إليها.

النقطة الأخرى التي يركز عليها منهج دراسة المجموعة هي العلاقة بين المجموعة والمجتمع، خاصة عند حدوث تغيرات إجتماعية أو إقتصادية أو سياسية أو ثقافية في المجتمع. تؤثرهذه التبدلات بطرائق متباينة على مختلف المجاميع. لهذا السبب فإن معرفة موقع المجموعة ودورها في المجتمع يساعد في استيعاب هذه التأثيرات وتوقع نتائجها المنظورة وغير المنظورة ومن أكثر التغيرات التي

تحدث في المجتمع تأثيراً هي عمليات التصنيع وتحضر المجتمع.

تؤثر الصناعة على المجتمع من خلال تقليل الإعتماد على الأرض ومن خلال إيجاد علاقات إجتماعية جديدة في المجتمع. تختلف هذه العلاقات كثيراً تلك السائدة في المجتمع الزراعي. إضافة إلى هذا، يتطلب المجتمع الصناعي تنظيماً تراتبياً للمجاميع. هذا التراتب موجود في المجتمعات الزراعية الإقطاعية أيضاً من خلال التقسيم الطبقي (النبلاء، رجال الدين والعامة) و العلاقات المحددة بين هذه الطبقات، في المجتمع الزراعي تكون العائلة هي وحدة الإنتاج السائد وتكون للمجاميع المحلية أثرها الكبير على أعضائها. من خلال التصنيع تكون للأفراد علاقات عديدة متباينة مختلفة في الكم والنوع عن العلاقات في المجتمع الزراعي. بالتصنيع تتصدع الصلات السياسية والحضارية بين المجاميع بسبب العلاقات المادية الجديدة، ينعكس تأثير العلاقات الجديدة على العائلة في المجالين الوظيفي والتركيبي، كذلك يكون الأمر بين المجتمع المحلي.

من أبرز نتائج التصنيع نمو المدن وهجرة السكان اليها من أقاليم مختلفة وحضارات وثقافات متباينة وتكون المدينة كوعاء يضم هذا الخليط الحضاري الثقافي الإجتماعي القيمي.

باستمرار وتنامي عملية التصنيع يزداد التخصص في العمل دقة وحدة تحقيقاً لزيادة فاعلية الإنتاج. لهذا السبب يزداد تنوع العمل ويزداد معه الإعتماد على مختلف قطاعات المجتمع.

بصورة عامة ضعفت المجاميع الأوليه، عدا العائلة، وحلت محلها مجاميع تشترك في المصالح والأهداف وتضاعفت تأثيرات هذه المجاميع مع تطور التصنيع وتنامي التحضر والتخصص. وكلما إزدادت درجة التعقيد في المجتمع إزدادت الحاجة إلى تنظيم المصالح وترتيبها. هذا التنظيم ضروري في المجال الإقتصادي والسياسي، ولهذا السبب برزت التنظيمات الإدارية (البيروقراطية) والتخطيطية مثل: ترتيب الشؤون، وضع الأولويات، السيطرة، الإستخدامات وغيرها. باختصار، توجد ثلاث عمليات رئيسية تؤثر على المجموعة ولها دورها في التغيير الحاصل في المجتمع، هي: التصنيع، التحضر والبيروقراطية. وهذه يجب أن تكون أساساً للتحليل والتمحيص عند دراسة التبدلات والتغييرات التي تحدث

فمن خلال الفقرات أعلاه تستشف أن الأساس النظري للجغرافيا الإجتماعية في المجموعة والمجتمع.

يعتمد على دراسة تركيبة المجموعة، تباين المجاميع فيما بينها ودراسة مواقع المجاميع ضمن المجتمع الكبير. تتداخل هذه مع بعضها من حيث التأثر و التأثير.

بعد هذا العرض الموجز لمنهج دراسة المجموعة في الجغرافيا الإجتماعية يرد سؤال إلى الذهن: هل درسنا المجاميع في المجتمع العربي؟ مما لا شك فيه أن المختصين بعلم الإجتماع نشطين في هذا المجال، وقد تخلف الجغرافيون عنهم. في الواقع إن إهتمامات الجغرافيين لم تهمل المجتمع وقد أخذت جوانب متناثرة ومعطيات تدور حوله دون الغوص في العمق ولعل مرد ذلك إلى أن هذه المواضيع قد عدت من قبل البعض من اختصاص غير الجغرافيين. لقد درس الجغرافيون التحضر وأثر التصنيع عليه. كما درسوا الهجرة وسلوكيات التبضع وغيرها من مواضيع تعرف حاليا من صلب تخصص الجغرافيا الإجتماعية. لقد درسوها كمواضيع ومسائل في جغرافية الحضر وليس كجغرافية إجتماعية. وحسب علمي، لم ينظر إلى أيٍّ من الباحثين العرب الذين بحثوا هذه المواضيع كجغرافي متخصص أو مهتم بالجغرافيا الإجتماعية، ولم يتعامل معها على هذا لأساس.

نستخلص من كل ما تقدم أن الجغرافيا الإجتماعية فرع جديد من فروع الجغرافيا، وهو حديث في منهجه: دراسة السلوك، أثر الإدراك الذاتي، تحليل وتعليل الأنماط المكانية، تطبيقي في منظوره (يخدم سياسة الدولة الإجتماعية بصورة مباشرة وغير مباشرة). في هذا التخصص الجديد تدرس الأنماط الإجتماعية (ظاهرة كانت أم مشكلة) مكانية ويتم تعليلها من خلال دراسة العمليات التي شكلتها سواء أكانت سلوكية أم إدراكية أو غير ذلك. في هذا الحقل المعرفي يتم الربط بين مستويات البحث المختلفة (الكبيرة والمتوسطة والدقيقة) طالما يعتقد بوجود صلة بينها وتفسر إحداها الأخرى. مجال دراسة الجغرافي هنا واسعة ومتنوعة بتنوع العناصرالإجتماعية في المجتمع وتباينها.

وبتنوع هذا المجال وسعته يتنوع ويتسع مضمون الجغرافيا الإجتماعية. الخيط الفاصل بين الجغرافيا الإجتماعية وعلم الإجتماع هو الفلسفة المكانية التي تمتاز بها

الجغرافيا (التفسير المكاني البيئي للظواهر والمشاكل). إضافة إلى هذا، فللجغرافيا ميزتها الأخرى، الاوهي السعة والشمول (خلفية جغرافية في تخصصات الجغرافيا الأخرى الطبيعيةوالبشرية). بهذه الخصائص يمكن للجغرافي أن يخدم بلدة عند فسح المجال له ليقدم ويطور خبرته البحثية و معرفته العلمية التخصصية الدقيقة.

المبحث الرابع
المنهج السلوكي

١- المقدمة

علاقة الإنسان بالبيئة موضوع قديم جديد، قديم قدم التفكير الإنساني بمعرفة ما يحيط به، وأثر البيئة على الإنسان أمر ركزت عليه المدرسة البيئية. الجديد زاوية النظر إلى هذه العلاقة والمنهج البحثي الجديد الذي أفرزته. ففي نهاية عقد الستينات برز منهج يدعو لدراسة أثر إستيعاب الإنسان للبيئة على سلوكه فيها وعلاقة ذلك بالأنماط المكانية للسلوك الجمعي والظواهر الإجتماعية المختلفة.

هدف الدراسات السلوكية إبدال البساطة والآلية التي عرفت بها نظرية علاقة الإنسان بالبيئة بأخرى توضح التعقيد الموجود في السلوكيات التي تؤدي إلى تغيير الأنماط. أي، النظر إلى السلوك كمعالجة Process تشكل الأنماط وتؤثر عليها. لقد نظر إلى الإنسان كمعلومات وأفكار ينتج عنها سلوكيات محددة يمكن التنبؤ بها والتخطيط لها. فالسلوك ينتج عن عملية تفكير تستوعب الإختيارات والبدائل لإتخاذ القرارات التي تترجم سلوكا. ومن نافلة القول الإشارة إلى أن البعض يتعامل مع البيئة بعفوية، وهناك من يتعامل معها بذكاء، والدراسة السلوكية تهتم بجميع القرارات المعنية بالسلوك سواء أكانت عن وعي أم لا.

ويطلق البعض على المنهج السلوكي الجغرافية السلوكية، كما أطلق على المنهج التطبيقي الجغرافيا التطبيقية. سواء أكانت منهجا أم فرعا فإنها تدرس سلوك الإنسان في بيئتة وهذا موضوع ومعطية إجتماعية تهتم بها الجغرافيا الإجتماعية. إنه سبيل يساعد في تفسير الأنماط ويكمل جوانب التحليل الموضوعي للظواهر الإجتماعية.

٢- سمات المنهج السلوكي

يتسم المنهج السلوكي Behavioral Approach بالخصائص الآتية:-

أ) تختلف الصورة الإدراكية للبيئة عن الحقيقية، فالحيز الذي يتحرك به الإنسان ويتخذ قراراته فيه مزدوج المعنى: ذاتي وموضوعي. فالمنزل يمكن قياس أبعاده

الهندسية والتعامل معه على هذا الأساس، ولكنه بالنسبة لساكنيه ليس مجرد هذه الأبعاد الهندسية، إنه أكثر وأعمق. فالتعامل مع الأبعاد الهندسية لا يعطي الصورة الحقيقية للظواهر الإجتماعية. أي إن المنهج السلوكي يدرس ما يفكر به الأفراد والصورة الذهنية لديهم وانعكاس هذا على قراراتهم وسلوكياتهم.

ب) إهتمام الجغرافيون من القديم بأثر البيئة الطبيعية على الإنسان، ومفهوم البيئة قد تغير كثيرا ليشمل البيئة الإجتماعية التي يعيش الأفراد في كنفها وحيث تؤثر قراراتهم وسلوكياتهم عليها. وقد تؤدي بعض التأثيرات البسيطة إلى حالات تستوجب إتخاذ مواقف اتجاه لقائم بالعمل فردا أم جماعة. فالسلوك ليس نهاية المطاف بل بداية السلسلة. فالبيئة الإجتماعية في المنزل والمحلة تؤثران على ذهنية وسلوكيه وإنتاجية الأفراد سلبا وإيجابا. وإهمال هذه البيئة أمر بجانب العملية والموضوعية. لهذا السبب اهتمت الدراسات المختلفة (جغرافية وغير جغرافية) بدراسة البيئة السكنية (الإجتماعية الصغيرة) لتفسير العديد من الظواهرو الإجتماعية والنفسية والإقتصادية. أي، إن المنهج السلوكي معني بدراسة البيئة بمفهومها الضيق، البيئة المباشرة التماس مع الأفراد والمؤثرة عليهم مباشرة.

ج) يركز المنهج السلوكي على دراسة الأفراد وليس المشاكل على مستوى المجموعة الإجتماعية، ولهذا فوائد جمة. المهم هنا لا تفسر الظواهر الإجتماعية تفسيرا نفسانيا باعتماد مصطلحات ومفاهيم عن الحالة العقلية للأفراد. فدراسة الأفراد وسلوكياتهم والأنماط المكانية التي تشكلها هذه السلوكيات تكمل جوانب الدراسات الأخرى. إنها سبيل فرعي لمعرفة التفاصيل التي تتجاوزها المناهج الأخرى. أي أنه منهج مكمل ولا يغني عن المناهج الأخرى.

د) الخاصية الأخرى للمنهج السلوكي أنه غير منفرد بهذا الطريق، فقد سبقته العلوم الأخرى إليه. فعلى الجغرافي أن يستوعب موضوع بحثه وما كتب عنه في العلوم الأخرى ويدرسها ليستفيد منها ويفسرها جغرافيا. (Gold 1980) أي إن مخاطر الإبتعاد عن الفلسفة والمنطق الجغرافي أمر ضروري الإنتباه إليه

وتجنبه وإبراز البعد المكاني للسلوك وتفسيره جغرافيا. اعتمد لاري بورن المنهج السلوكي لدراسة أسباب إنتقال الساكنين داخل المدينة موجها نقدا إلى المناهج الأخرى وذلك:-

(١) عدم دقة المناهج المعتمدة في التنبؤ في موضوع الهجرة وضرورة تطوير أو إبدال بعضها بنماذج أكثر دقة.

(٢) قد يؤدي إدراك طبيعة عملية إتخاذ القرار على مستوى الفرد إلى وجود نماذج أكثر نضجا وموضوعية.

(٣) قد يوفر إدراك طبيعة خبرة الأفراد مع البيئة أساسا جيدا لتقويم القرارات المتعلقة بتخطيط التنمية وتنظيم المناطق الحضرية (Bourne 1971). ما طرحه بورن يؤكد حقيقة أن المنهج السلوكي مكمل للمناهج الأخرى وإنه أكثر دقة وتفصيلاً منها. وقد اعتمد المنهج السلوكي في دراسة حركة الأفراد في التسوق Shopping وفي معالجات الإنتشار المكاني المختلفة Spatial Diffusion وفي دراسة حركة المجرمين والعدد غيرها. إنه مكمل للمنهج البيئي ومنهج دراسة المجموعة، على وجه الخصوص.

الفصل الثالث

التركيب الاجتماعي للمدينة

المبحث الأول
التركيب الإجتماعي لسكان المدينة

١- المقدمة

لدراسة التركيب الإجتماعي في المدينة أُعتمد منهجان: المنهج الإقتصادي، والمنهج الإجتماعي. يعود المنهج الأول إلى نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي. وترجع أفكار هذا المنهج إلى فرضيتين، الأولى أن مراكز المدن توفر سهولة في الوصول إلى جميع أرجاء المنطقة الحضرية، وإلى جميع الخدمات والسكان في المدينة، وبهذا يكون للموقع المركزي جاذبية كبيرة لأي نوع من أنواع إستعمالات الأرض مقارنة بمواقع الأطراف. ولهذا يكون التنافس شديدا على المنطقة المركزية في المدينة وبالتالي ترتفع أسعار الأراضي فيها. أما الرأي الثاني فيقول بأن لكل استعمال أرض قدرة خاصة لتحمل الكلفة المادية وتقييم نسبي للمواقع المركزية، ولهذا تتباين استعمالات الأرض في قدرتها على التنافس.

المعامل والحوانيت تنتفع من زيادة عدد الزبائن في المواقع المركزية، بينما يتحمل الساكنون كلفة النقل من مواقع الأطراف، ولهذا تتباين نسب المنفعة من المواقع المركزية. أي أن استعمالات الأرض المختلفة لها منحنيات مختلفة لأسعار الأرض. فمنحنى الإيجارات الفرضي ينحدر سريعا بعيدا عن مركز المدينة ولهذا تنتظم إستعمالات الأرض بأنماط تراكزية. في المركز توجد المنطقة التجارية المركزية CBD حيث النشاط التجاري وبيع المفرد وذلك لتمكنها من تعويض الكلفة العالية لهذه المواقع، بينما الإستعمال السكني يكون في الأطراف وإن الكثافة السكنية وكثافة إستعمالات الأرض تتاقص باتجاه أطراف المدينة لشراء الناس قطع أراضي أكبر مساحة لإنخفاض الأسعار. وبأخذ نموذجين من السكان، تجد أن الفقراء يعيشون في المناطق المركزية بهدف تقليل كلفة النقل وشراء أو كراء مساحة صغيرة فيها، ولهذا السبب يعيشون في كثافة سكنية عالية جدا. بالمقابل يقطن الأغنياء بعيدا عن المركز ويصرفون أموالاً كثيرة على النقل

إلا أنهم يعيشون في كثافات سكنية واطئة وعلى أراضي منخفضة الأسعار. حسب هذا المنطق فقد عدت كلفة النقل وسعر الأرض كبديل عن بعض في تحديد مواقع النشاطات وإستعمالات الأرض. أعيد النظر في هذا النموذج البسيط مرارا وتم إجراء التعديلات على فرضياته، وأضيفت متغيرات جديدة مثل تفضيل الناس للعيش في كثافات منخفضة وتطور تقنيات النقل وإنخفاض كلفها، إعادة توزيع الخدمات التجارية والتسلية على أطراف المدينة، ظهور أسواق سكنية ثانوية تمثل سياسات التفضيل للمواقع السكنية وما يرافقها من عمليات إقتصادية وغيرها من المتغيرات التي تعكس تباين أفضليات المواقع في المدينة.

٢- المنهج الجغرافي

يعد المنهج الجغرافي أكثر عمليا وأفضل في وصف المناطق الإجتماعية من خلال تحليله للأنماط السكنية وتفسيرها بطريقة إستدلالية. ففكرة أن إستعمالات الأرض الحضرية تشكل أنماطا على شكل دوائر متراكزة تعود إلى كتابات ماركس وإنجلس عام ١٨٤٢ حيث تم وصف منازل الطبقة العاملة في المناطق المركزية المحيطة بالمنطقة التجارية المركزية، خارج هذا النطاق تسكن الطبقة المتوسطة (البرجوازية) حيث الشوارع المنظمة قريبة من مراكز العمل، ويعيش الأغنياء في القرى والضواحي حيث توجد الحدائق الفارهة. وتمت ملاحظة ذات الشيء أواخر القرن التاسع عشر في جنوب لندن.

جاءت الأفكار الحديثة في هذا المنهج بعد الحرب العالمية الأولى من قبل بيئيوا شيكاغو فنموذج الدوائر المتراكمة قدمه برجس معبرا عن العمليات البيئية الطبيعية المشار اليها آنفاً، ففائض القيمة حسب رأي أنجلس ساعد الأغنياء للعيش في المناطق الجيدة في أطراف المدينة طالما تضم الشوارع الرئيسية في مركز المدينة حوانيت وجماعات من مستويات أدنى في السلم الإجتماعي وإن الأغنياء يتجنبون هذه المواقع ولهم القدرة على الإنتقال اليومي إلى المدينة إضافة إلى تخلصهم من مشاكل الأمراض والإجرام فيها. وقد فسر برجس العملية بطريقة مختلفة تماما حيث عند موجات المهاجرين المتعاقبة على المدينة قد دفعت سكان

المناطق المركزية للإنتقال إلى أطرافها من خلال معالجات التغلغل والإنتشار والتراجع ولهذا تشكلت جماعات إجتماعية محلية ذات خصائص إجتماعية معينة في مراكز المدن، وضمن المنطقة الإنتقالية المحيطة بمراكز المدينة التجارية CBD.

قدم هويت نموذجا مختلفا وذلك لإستناده على أرضية إقتصادية وليست إجتماعية وقدم عاملاً مهما يوجه استعمالات الأرض في المدينة على شكل قطاعات.

التشابه بين نموذجي برجس وهويت راجع إلى إعتمادهما القوة الطاردة من المركز وتأكيدهما على حالة التدرج الإجتماعي من مركز المدينة بإتجاه الأطراف. أكد برجس أن الساكنين من ذوي الدخول الواطئة تغزو المناطق السكنية وتجبر مجتمعاتها على التراجع، بينما يرى هويت أن المنازل قد أصبحت أقل أفضلية بسبب تقادم الزمن عليها وإنتقال ساكنيها إلى منازل أفضل تاركين المواقع الأصلية لتنزل في درجتها وقيمتها ويسكنها أناس بمستوى أدنى، في كلا النموذجين تتابع الأحداث والعمليات لتؤكد تدني Filtering down المساكن والمحلات السكنية وإرتقاء السكان Filtering up في المناطق الجديدة.

جرت محاولات عديدة لإثبات صحة كل من الفرضيتين فالبيئيون الحضريون يهتمون بأسئلة إجتماعية تتعلق بالحياة الحضرية وتأثير السيطرة الإجتماعية على العائلة والعمليات التي تؤدي إلى تكيف العائلة مع الحياة المدنية. وقد توصلت الدراسات إلى أن الأنماط التي تشكلها المتغيرات مفردة تعطي نماذج متراكزة وقطاعية في الوقت نفسه، وإن الأنماط التي تتعلق بالدخل تأخذ نمطاً قطاعيا بينما المتغيرات مثل حجم الأسرة وتركيبها العمري فتشكل أنماطا متراكزة ولهذا فإن المدينة تتكون من النمطين التراكزي والقطاعي في الوقت نفسه.

يقدم هذين النموذجين المبسطين جدا تركيب المدينة الإجتماعي والمعالجات التي تتشكل بها المناطق الإجتماعية وتتغير. يستند المنهج الجغرافي في دراسته للتركيب الإجتماعي في المدينة على:-

(أ) النظر الى الموجود السكني في المدينة من حيث الحجم والنوع وتوزيع الأسعار ونوعية التسهيلات العمرانية التي تحتويها وملكيتها.

(ب) النظر إلى التركيب الإجتماعي للساكنين من حيث الحجم والعمر والمهنة

وتوزيع الدخل ولإشتراك في السكن والمستوى التعليمي.

(ج) الإجابة عن التساؤلات التالية:- هل يعيش الساكنون ذوي العدد الكبيرمن الأطفال في أنواع معينة من المنازل؟ هل يعيش السكان ذوي المستوى التعليمي الواطيء بمنازل معينة بايجارات منخفضة؟ هل يعيش الساكنون ذوي خصائص إجتماعية معينة في مواقع محددة ؟

(د) تحديد أنماط التباين المكاني لقيم المتغيرات وتحليل العلاقة بينها وإسقاطها على الخرائط لتعرض جانبا من التركيب الإجتماعي-المكاني للمدينة وتفسيره.

٣- عناصر التركيب الإجتماعي

لتحليل التركيب الإجتماعي للمدينة من الضروري النظر إلى العناصر الثلاث التالية ودراستها وإيجاد الصلة بينها. تمثل هذه العناصر الأركان الأساسية للتركيب الإجتماعي ومفرداته التحليلية.

١-٣) الموجود السكني

لقد بنى الموجود السكني خلال فترات زمنية متعاقبة من الإزدهار والركرد الإقتصادي، كذلك هناك تباين حجم الموجات البشرية الوافدة من الإقليم أو المدن الأخرى. لهذا السبب يتباين الموجود السكني بين المدن استنادا إلى تاريخها الإقتصادية والسكاني. يعطي روبسن نموذجين لمدينتين إنكليزيتين، الأولى مدينة Path Spa العريقة بتاريخها حيث بني معظم موجودها السكنى خلال القرن الثاني عشر وبداية القرن التاسع عشر، منازلها كبيرة واسعة يسهل تقسيمها إلى شقق، وقد وصلت هذه المنازل إلى المرحلة الحرجة من عمرها لإرتفاع كلف صيانتها. أما النموذج الثاني فمدينة سندرلند Sunderland التي تضم موجودا سكنيا كبيرا نسبيا من المنازل الصغيرة التي بنيت خلال فترة الإزدهار الإقتصادي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والتي تعد دون المستوى قياسا بالمعايير الحدثة وقد تم تهديم وإعادة إعمار عدد كبير منها ضمن برامج إعادة الإعمار. يتناسب التباين في أعمار المنازل بتباين أنواعها، فكل نوع يمثل مرحلة تاريخية، فالمنازل المتصلة ببعض من الجانب الخلفي لا توجد في جميع المدن الصناعية، فمدينة

لندن مثلاً لا تمتلك أيا منها، بينما ينتشر هذا الطراز من المنازل في مدن صناعة النسيج. (Robson 1978) بتقديم الزمن تفقد المنازل قيمتها المادية وتظهر طرز بناء جديدة وتتطور المعايير السكنية ويبدأ الطابوق (مادة بناء المنازل) بالتآكل والتفتت وتنخر الديدان الأخشاب وتتطلب السقوق ترميمات وتعديلات جوهرية، وحتى الاسمنت يتطلب ذات الإجراءات. بصورة عامة، للمنزل عمر زمني محدد، وقد لا تنقص قيمته المادية خلال العشرين سنة الأولى إلا أنه بعد ذلك تتناقص سنويا. وتتباين القيم الإجتماعية للمنازل بشكل كبير، وقد يعود الطراز (الجورجي) مثلاً إلى الحياة وذلك بإضافة مستلزمات وإجراء تعديلات على الموجود السكني من هذا الطراز وإعطاءه حياة إضافية. أو أن يفقد الساكنون ثقتهم بمادة معينة للبناء أو يفقدون الإهتمام بحي سكني ولذلك تتناقص الرغبة في الصيانة والترميم، وتتبدل المعايير السكنية نتيجة تطور المستوى الحضاري والتخطيطي.

٢-٣) سكان المدينة

يتمثل الموجود السكني العرض في سوق الإسكان، يقابله الموجود الإجتماعي (سكان المدينة) في جانب الطلب على السكن، وفي مجال الطلب توجد العديد من المعطيات والمفردات التي يجب الإنتباه اليها، مثل: المهنة، الدخل، حجم العائلة، التركيب العمري، الأصل العرقي أو الديني، تاريخ الهجرة إلى المدينة وغيرها. حسب هذه الخصائص سيختار الساكنون أنواعا مختلفة من المنازل وفي مواقع متباينة من البناء الحضري للمدينة. وتتباين المدن في هذه الخصائص بشكل كبير. ففي دراسات غربية وجد أن الطبقة العليا تتراوح نسبتها بين (٧,٧٪) إلى (٥٤,٤٪) وتتراوح نسبة الطبقة الدنيا بين (١,١٠٪) إلى (٤٣,٦٪)، وتراوحت نسبة تاركي مقاعد الدراسة في سن (١٥) سنة بين (٣٣,٦٪) إلى (٨٦,٨٪) وتراوحت نسبة من يسكن بمفرده من (٣,٧٪) إلى (٢٠,٣٪)، والعوائل التي يزيد عدد أفرادها على الستة أشخاص في المنزل الواحد بين (٤٪) إلى (١٧,٤٪)، وتراوحت أعمار من هم في سن (٠-١٤) سنة بين (١٥,٨٪) إلى (٣١,١٪)، وتراوحت نسبة السكان الذين تكون

أعمارهم (٦٥) سنة فأكثر بين (٩,٤٪) إلى (٦,٢٤٪)، والقائمة طويلة (Rob-son 1978). لا ينصب اهتمامنا على هذه الخصائص لوحدها، بل وعلى التبادلات التي تحصل فيها عبر الزمن، فهل ينمو سكان مدينة معينة بصورة سريعة أو لا؟ كيف يتبدل التركيب المهني لسكانها؟ كيف ينمو الدخل الشخصي في المدينة وكيف يتوزع؟ تنعكس جميع هذه التبدلات على حاجات الناس إلى السكن وبالتالي على قدرتهم لشراء أو إيجار نزل من نوع معين. ولهذا السبب تلعب دراسة التركيب السكني والإجتماعي للمدينة دورا متميزا في حساب الحاجة السكنية وتقييم كفاءة أداء الخدمات الإجتماعية والمنافع العامة. لكثرة المتغرات الإجتماعية وتنوعها لذا لا تكون عملية دراسة العرض والطلب السكني سهلة، ولأن الموجودين السكني والإجتماعي يتفعلان مع بعض بطرق عديدة. فعدد السكان الذين يطلبون سكنا لا يمكن أن ينظر له كرقم مجرد للموازنة بين عدد المنازل وعدد طالبيها. والناس يميلون حاليا إلى الزواج المبكر وبعدد قليل من الأطفال مما يزيد الطلب، فالعائلات ذات الحجم الصغير لم تنتج عن تبدل (ديموغرافي) فقط بل إجتماعي أيضا. وتعتمد هذه التبدلات على الموجود السكني لمثل هؤلاء الساكنين، وهم بدورهم يعتمدون على هذه المنازل، فالعرض السكني يولد طلبا عليه. ويمكن القول أن العلاقة بين الموجودين السكني والإجتماعي مزدوجة ومتقابلة مع بعضها وكما لاحظنا سابقا فإن التركيب الإجتماعي للمدينة يؤثر على الأنواع السكنية الموجودة فيها، بالمقابل فإن غياب أنواع معينة من المنازل يؤثر على طموح الناس. فوجود المنازل الكبيرة المتداعية من النوع الفكتوري في بعض المدن البريطانية قد جعلها مناطق إستقرار أولى للمهاجرين. كذلك فإن الجامعات الجديدة توفر طلبا لأنواع معينة من المنازل من قبل شرائح إجتماعية محددة. بالمقابل يتأثر الموجود السكني في أية مدينة بالتركيب الإجتماعي لسكانها، فالعلاقة بديهية، فالمنازل الواسعة متعددة الغرف قد حولت في مدينة كمبرج في إنجلترا إلى غرف تسكنها أكثر من عائلة لإستيعاب الزحم السكني الجديد من العاملين في مهن يدوية والعزاب والطلبة.

٣-٣) الحيز المكاني Physical Space

إضافة الى الموجودين السكني والإجتماعي أضاف الجغرافيون حيزا ثالثا بحكم إهتمامهم بالمكان متسائلين عن مدى تطابق التوزيع المكاني الأنواع المنازل والساكنين. والكتابات الجغرافية في هذا المضمار كثيرة وهي امتداد للاهتمامات البيئية. لقد طور شفكي وبيل هذا المفهوم في كتاباتهم عن المناطق الإجتماعية في المدن وعدت هذه المناطق مكونة من ثلاثة أبعاد مستقلة يمكن قياسها بسبع متغيرات. وقد وجه نقد إلى هذه الفرضية وتم إضافة عدد آخر من المتغيرات وإستخدمت تقنيات أخرى لدراسة التركيب الإجتماعي الإقتصادي للمدن. وقد جاءت طريقتي تحليل العنصر الرئيسي Principal Component Analysis والتحليل العاملي Factor Analysis لتتوافق مع هذا الإتجاه حيث يمكن تحليل عدد كبير من المتغيرات لإختزالها إلى عدد قليل من العناصر أو العوامل ذات العلاقة الخطية بين متغيراتها. بإعتماد هذه الطريقة في التحليل جاء الحيز المكاني ضمنيا حيث أن التحليل لا يعتمد الساكنين كأفراد والمنازل مفردة بل الوحدات الإحصائية الجغرافية الصغيرة، وتمثل هذه التوزيع المكاني لمناطق المدينة وتنظيمها الداخلي. وفي الحقيقة لقد وجدت هذه العناصر في جميع الدراسات البيئية للمدن عاكسة العلاقة بين المتغيرات الإقتصادية والإجتماعية لتشكل أنماط مكانية. بعبارة أخرى، يتفاعل الموجود السكني مع التركيب الإجتماعي في الحيز المكاني وتتداخل بطريقة ما لتشكل التركيب الإجتماعي المكاني للمدينة.

استخدمت هذه الطريقة لتحليل التركيب الإجتماعي في مدن الدول الصناعية والدول النامية وأكدت النتائج وجود عوامل وأنماط عامة مشتركة فالنموذج (العالمي) للتركيب الحضري يشير إلى وجود نوع من التنظيم المكاني للمناطق السكنية يمكن وصفه ببعدين مستقلين يمثل الأول الحالة الإجتماعية الإقتصادية التي تقاس بالمهنة، والبعد الثاني يعكس الحالة العائلية ودورة حياتها وتقاس بمتغيرات تتعلق بالتركيب العمري ونسبة الخصوبة. ويبدو أن التباين في توزيع هذين البعدين مهم جدا في مدن الدول المتقدمة. إضافة إلى هذين البعدين ظهرت أبعاد أخرى إلا أنها وكما يبدو ترتبط بمدن معينة أو حضارات معينة منتجة تعددية في

الأسواق السكنية، وبرز العزل الإجتماعي في المدن الأمريكية كبعد قوي يعكس مساكن الزنوج بغض النظر عن الحالة الإجتماعية الإقتصادية، كما يعكس دورة حياة العائة، وفي بريطانيا برز التمييز بين مساكن الدولة ومساكن القطاع الخاص، وبرزت هنا ثلاثة أبعاد هي الحالة الإجتماعية الإقتصادية ودورة حياة العائلة وهما بعدان عالميان موجودان في مختلف مدن العالم. أما البعد الثالث في المدن البريطانية فيعود إلى مساكن القطاع العام الذي يقيس التباين في توفير التسهيلات والخدماتن السكنية.

٤- مفاهيم التركيب الإجتماعي

في هذا المبحث نعرض ثلاث من المفاهيم المتداولة عند دراسة التركيب الإجتماعي في المدينة، هي: الحالة الإجتماعية الإقتصادية، دورة حياة العائلة ودورة حياة المحلة السكنية.

٤-١) الحالة الإجتماعية الإقتصادية Socio-Economic Status

يعد مصطلح الحالة الإجتماعية الإقتصادية من المصطلحات المعقدة حيث تقسم المجاميع على أساس المهنة ولهذا تأثير الكيفية التي يرى فيها الأفراد أنفسهم ومواقعهم ضمن السلم الإجتماعي. وقد اعتمد نوعين من المعايير للتصنيف الطبقي الإجتماعي. يعتمد النوع الأول السلطة أساسا للتمييز بين العمال ومرؤسيهم، ويعطي الثاني شيئا من التفصيل ليبرز عدد من الشرائح والفئات الوسطى من خلال تداخل عناصر الدخل وطريقة الحياه والمستوى الثقافي والمهنة وغيرها.

وحقيقة لا يمكن تغافلها أن الناس ذوي الحالة المتشابهة (إقتصاديا، مهنيا، ثقافيا، عرقيا، دينيا) يميلون إلى العيش مع بعض وذلك لتعزيز العائلة والحفاظ عليها. فلافراد يسعون للعيش مع أمثالهم بهدف إنقاص الفرص أمام أبنائهم بالإختلاط واللعب والزواج من أشخاص لا يناسبوهم في الموقع الإجتماعي. ويميل ذوي الدخل العالي إلى المواقع التي تتميز بالمنظر الجميل والبيئة الصحية والهدوء وحيث تتوفر المدراس الجيدة والخدمات الراقية تاركين المناطق الأخرى

لغيرهم. فالفصل الإجتماعي يمثل طريقة للتميز الإجتماعي ولإبراز الخصوصية الإجتماعية للجماعة. إستنادا على هذه النظرة يعمل المسؤلون عن توزيع المساكن وبنائها وإجارها (وكالات الإسكان) إلى بناء المنازل بأسعار متقاربة في المنطقة متباينة عن أسعار المناطق الأخرى، وبهذا تعزز الفصل الإجتماعي المكاني. ويلاحظ أن الفصل الإجتماعي لا يكون على أساس الدخل لوحده، فبعض العمال اليدويون يكون دخلهم عالٍ قياسا ببعض من يعمل في المكاتب والمهن الكتابية. وتلعب الدولة دورا بارزا في عملية الفصل الإجتماعي المكاني من خلال توزيع قطع الأراضي على أساس المهنة.

٢-٤) دورة حياة العائلة Family Life Cycle

أكدت الدراسات على وجود أنماط متميزة للتوزيع العمري للساكنين في المدينة. وقد وجد جونز عدة أنواع من الأهرامات السكانية في مدينة بلفاست عند دراسته التركيب الإجتماعي فيها. وتفسر هذه الحالة بتباين متطلبات مراحل الحياة المختلفة سواء الحيز المكاني والتسهيلات الخدمية. فالساكنونHouseholds بأطفال بأعمار صغيرة يحتاجون حيزا داخل المنزل وآخر مجاور له للعبهم كما يحتاجون سهولة الوصول عند مراجعة عيادات الأطباء دور الحضانة ورياضة الأطفال والمدارس الإبتدائية. أما العزاب والمتقاعدون بدون أطفال فمطلبهم من الحيز يكون أقل إلا أنهم يحتاجون سهولة للوصول إلى مراكز التسوق والترويح والحدائق والمتنزهات العامة. على الرغم من التباين الكبير في طرق المعيشة وتنوع الرغبات الشخصية للساكنين إلا أن هناك حاجات أساسية مشتركة تتباين في ضوء التركيب (الديموغرافي) للساكنين.

توجد صعوبتان في دراسة أنماط دورة العائلة: الأولى، من السهل تحديد مراحل دورة حياة العائلة إلا أنه يصعب تحديد توزيع مكاني لهذه الدورة. فالشخص الواحد يكبر باستمرار والساكنون كعائلة أو أفراد يكبرون أيضا ومجيء طفل آخر أو إنفصال أحد الأفراد عن بقية الساكنين، كل هذه تؤدي إلى تبدل في التركيب العمري للساكنين والتبدل في التركيب الديموغرافي لسكان الحي السكني سواء أكان هناك إضافات من خارج الحي أو نزوح منه أم لا. يتضح مما سبق أن

مفهوم دورة حياة العائلة أكثر تعقيدا بانتقال المنظور من الفرد إلى العائلة ثم الحي السكني. بالإمكان تمييز سبعة مراحل لدورة حياة العائلة بدءً من الشخص الأعزب (الإبن قبل الزواج) ثم الزوجيين بدون أطفال، تليها مجيء الأطفال وإنتهاءً بترك الإبن عائلته ليكون عائلة جديدة. هذه مراحل فرضية هدفها تحديد مختلف إحتياجات العائلة (وأفرادها)، ويمكن تحويل هذه المراحل إلى تركيب عمري للساكنين.

تتمثل الصعوبة الثانية في دراسة دورة حياة العائلة في تحديد تأثير التركيب العمري لسكان إقليم المدينة، فالتوزيع العمري لا يأخذ نمطا خطيا لهذا يصعب إشتقاق إحصاءات دقيقة للتوزيع العمري للمنطقة قيد الدرس فالمناطقة السكنية تعرض تباينا واضحا في التركيب العمري لسكانها. في أمريكا لوحظ توجه لبناء مناطق سكنية خاصة بأعمار معينة، فهناك مدن الشمس في أريزونا بحجم سكاني قدره (١٤٠٠٠) أربعة عشر ألف نسمة ولا يسمح لمن هم بعمر أقل من (٥٠) خمسين عاما للسكن فيها (Robson 1978).

٤-٤) دورة حياة المحلة السكنية، Neighbourhood Life Cycle

تبدأ المنطقة السكنية الجديدة بمنازل مفردة مبعثرة ذات مستوى معماري ومعياري متقارب، تسكنها عادة أسر مفردة مع شيء من التجانس الإجتماعي وتكون الكثافة السكنية واطئة وغالبا تكون الأسر في أوائل دورة حياتها وتكون حركة الهجرة اليها نشطة. في المرحلة الأولى لم يتكون مجتمع موحد بعد، وهناك الكثير من الأراضي الخالية ولم تتكامل الخدمات بعد. تعاني المنطقة في هذه المرحلة من ضعف السيطرة الأمنية وتكثر فيها السرقات والإعتداءات.

وفي مرحلة لاحقة تمتليء المنطقة عمرانيا وترتفع أسعار الأرض فيها وترتفع طبقاً لذلك كثافة استعمالات الأرض والكثافة السكنية وتعددية في إشغال الوحدات السكنية Hulti-occrpation. في هذه المرحلة تكون الأسرة قد وصلت مرحلة متقدمة نسبيا في دورة حياتها ويكون وضعها المادي أفضل، وتقل حركة الهجرة إلى هذه المناطق. في هذه المرحلة تتكون شبكة العلاقات وتتحدد شخصية المجتمع المحلي ويزداد الأمن استقرارا وتقل المشاكل.

في المرحلة الثالثة تبدأ مظاهر التدني العمراني على المنازل وتبدأ عملية التحويرات العمرانية والتبدلات في استعمالات الأرض وترتفع نسبة المسنين ويتدنى الواقع الإقتصادي للساكنين وتبدأ حركة الهجرة من الحي السكني. في هذه المرحلة تبدأ المشاكل تتفاقم ويضعف التكافل الإجتماعي.

في المرحلة الرابعة من دورة حياة المحلة تظهر سمات القدم على المباني ويكون المستوى العمراني والمعياري بادياً للعيان وتزداد حركة التحويرات والتبدلات في استعمالات الأرض وحركة الهجرة منها. تلي هذه المرحلة، مرحلة تجديد شباب المنطقة السكنية إما بإعادة إعمارها من قبل الدولة لأغراض سكنية أيضا، وقد تكون إعادة الإعمار هذه بمستوى أقل لإسكان أكبر عدد ممكن من الأسر الفقيرة أو تحويلها من قبل القطاع الخاص إلى عمارات فارهة للأغنياء. وقد يكون التحوير لأغراض غير السكنية. في هذه المرحلة تكون المنطقة في أسوأ وضع أمني لها.

بدراسة عناصر التركيب الإجتماعي الثلاث المذكورة في أعلاه ترسم خارطة التركيب الإجتماعي للمدينة. في البدء تختار مؤشرات مفردة من كل عنصر لإسقاطها على الخرائط، ثم تحدد العلاقة الإحصائية بين مؤشرات العنصر نفسه لإشتقاق العنصر وتحديد تركيبته الفعلية من خلال مصفوفة العلاقات بين مؤشراته. تلي هذه الخطوة جمع العناصر التركيبية لتحديد العلاقة المكانية بينها وصولاً إلى خارطة تعكس التوزيع المكاني للتركيب الإجتماعي في المدينة. تمثل هذه الخارطة، إضافة إلى خرائط العناصر ومؤشراتها مفردة، الأساس لتفسير المناطق الإجتماعية في المدينة. تمثل هذه الخارطة، إضافة إلى خرائط العناصر مؤشراتها مفردة، الأساس لتفسير المناطق الإجتماعية والتوزيع المكاني للمشاكل والظواهر الإجتماعية.

المبحث الثاني
مناطق إجتماعية في المدينة

١ - المقدمة

بظهور المدن المليونية والمدن العملاقة وبزيادة في تقسيم العمل وتباينه من حيث الكم والنوع إنعكس ذلك بوضوح على التركيبة الإجتماعية فظهرت حالة من التوزيع المكاني - الإجتماعي تترافق مع التوزيع الإقتصادي-الإجتماعي لطبقات المجتمع وفئاته. ظهر ما يعرف بالإستقطاب الإجتماعي حيث توزعت الطبقات والفئات الإجتماعية للعيش في أماكن تمثلها وتعكس قدرتها الإقتصادية ومكانتها في السلم الإجتماعي وتحمي مصالحها وتجسد وجودها.

يشكل الإستقطاب الإجتماعي ظاهرة بارزه فالعوائل المتشابهة في موقعها الإجتماعي الإقتصادي تميل إلى العيش مع بعض. وفي العديد من الحالات تكون الرغبة في الحصول على حيز أوسع وهواء نقي وبيئة جيدة سبباً لإعادة التوزيع المكاني للجماعات الإجتماعية العليا. إن مصطلح الإستقطاب الإجتماعي Social Polarization يوحي بأن سكن المواطنين المتشابهين في المستوي الإقتصادي الإجتماعي شيء غير مرغوب فيه وإن الحل إجبار الناس للعيش في مجتمعات متنوعة المستويات. في الحقيقة إن تركز المجاميع الإقتصادي الإجتماعي قد يفاقم سوء أوضاع من هم في أدنى السلم، والمشكلة ليست في التجمع بحد ذاته بل تركن في مكان آخر. إضافة إلى ذلك فإن المشكلة يمكن إصطناعها أو إخفائها كليا إعتمادا على حدود منطقة الدراسة أو الوحدة الإحصائية المعتمدة في جمع البيانات. والحل الأمثل هو في تقديم المزيد من فرص التحسين والتقدم للمناطق المحتاجة. ولكن هل يمكن تحقيق هذا دون الإخلال بهذا التجانس؟ فتطوير البيئة وتحسينها هدفه جذب ساكنين جدد وبمستويات أفضل.

٢- المنطقة الطبيعية Natural area

يرتبط بعملية الفصل الإجتماعي Segregation مفهوم المناطق الطبيعية. وقد نظر بعض البيئين إلى المناطق الطبيعية كمناطق حددت بأنماط استعمالات الأرض ومؤطرة بخطوط النقل والمؤسسات الصناعية أو التضاريس وما شاكل ذلك، إنها نتاج طبيعي للنمو غير المخطط للمدينة. كما نظر لهاكمظاهر حضرية وليس طبيعية تضم تجانساً عرقياً أو لغوياً تجانسا في الدخل أو المهنة. ومهما تكن الخصائص المميزة للمناطق الطبيعية فإنها نتجت عن عملية التنافس وتأثيرات أسعار الأرض، وبزيادة درجة التجانس الداخلي ضمن المنطقة الطبيعية تزداد الحاجة إلى التعامل معها كعنصر من عناصر تركيب المدينة ونظامها الإجتماعي أو كنظام ثانوي Sub-systemضمن نظام مجتمع المدينة الكبير. (Robson 1969).

لقد نظر للمناطق الطبيعية كوحدات جغرافية متميزة في الخصائص الطبيعيةو الإجتماعية والإقتصادية والحضارية. إنها مناطق ذات وحدة إجتماعية كما لها وحدتها المكانية (الطبيعية). درس wirth المناطق الطبيعية في شيكاغو وحددها على إنها مناطق منفصلة عما يجاورها من إجزاء المدينة بحواجز بيئية مثل الشوارع وخطوط السكك الحديدية. ضمن هذه المناطق هناك تماسك إجتماعي وشخصية متميزة للسكان. وعبر Hatt عن المناطق الطبيعية بأنها مقبولة في المنطق الإحصائي لتوفر هيكلاً ممتازا للتحليلات العلمية الاحقة. (Herbert 1974)

ورد مصطلح المنطقة الطبيعية أولاً في كتابات بارك عام ١٩٢٥ واستخدمها ورث عام ١٩٢٨ تلاهما الباحثون الآخرون. نظر للمنطقة الطبيعية كوحدة إجتماعية ووحدة عمرانية وعلى ضوء هذا اقترح تقسيم المناطق السكنية في المدينة إلى مناطق ذات حواجز بيئية واعتبارها مناطق طبيعية تعكس التباين في أسعار الأرض والإجارات ولهذا ليس ضروريا إن تتطابق مع التقسيمات الإجتماعية لإعتمادها العوامل الإقتصادية إضافة إلى التباين الثقافي والحضاري الذي يؤدي في محصلته النهائية إلى تباين إجتماعي وتشكيل جماعات متجانسة مع ذاتها مختلفة عن بعضها. بهذا تكون المناطق الطبيعية مناطق حضارية لكل منها خائصها المعقدة وتقاليدها ومعتقداتها ومصالحها الخاصة.

ترجع عملية تشكيل المناطق الطبيعية إلى التنمية العامة في المدينة حيث يتم من خلال نمو المدينة وتوسعها إعادة توزيع سكانها وترتيبهم وتصنيفهم إلى مجاميع على أساس المناطق السكنية والدخل. والأنماط التي تنتج عن هذه العملية تؤدي إلى اشتراك بعض الجماعات في الخصائص في مناطق طبيعية معينة. فالمناطق الإنتقالية حسب نموذج برجس تمتاز بخصائص السكن المهتريء Slums والأراضي المتروكة مع إنتشار الفقر والتحلل القيمي وانتشار الأمراض والجريمة، كذلك الحال مع مدن الصفيح Shanti towns والمدن الصينية China towns في المدن الأمريكية وأحياء الصقليين ومناطق سكن المهاجرين في مدن غرب أوربا.

الحال الراهن وما كان سابقا وما يتوقع مستقبلاً. لقد تخصصت وحدات ومراكز بحثية في هذا المنهج.

تهتم هذه المدرسة بالكيفية التي يستوعب فيها الأفراد الرفاه الإجتماعي وتقيمهم له. خاصة في مجال الدخل والسكن والخدمات الصحية. وقد يطلب من الأفراد تسجيل الأشياء التي يعدوها أكثر تأثيرا وأهمية بالنسبة لرضاهم وقناعتهم بمستوى المعيشة ليتم تحليلها.

قام الباحثان Rourke وDalkey باستطلاع آراء طلبتهم عن الأشياء التي يروها الأكثر أهمية لرفاههم ورضاهم بمستوى الحياة، نوعية الحياة التي يعيشوها، واعتمد برنامجان مستقلا عن بعض لقياس وزن كل مؤشر. وصنفت المؤشرات إلى عناصر Cimponents ورتبت تنازليا حسب أهميتها في الجدول رقم (٤). تؤكد عناصر نوعية الحياة، حسب هذا الجدول، على الحالة الفردية والشخصية والعواطف للأفراد كمعطيات أساسية تحدد نوعية الحياة التي يحياها الفرد. تتباين هذه المفاهيم والإهتمامات بين الأفراد بتباين خبرتهم وطبيعة ما يتوقعه، كما تتباين مكانيا. يهتم الجغرافي بتأثير المكان على هذه المفاهيم، ففي دراسة عن تقييم الأفراد لمناطق سكنهم جرت في مدينة ديترويت وجد أن للناس المحيطين أثر وهم مصدر القناعة على غير ما يعتقده المهندسون من أن للطابوق والجص أثر في قناعة الناس في مناطقهم السكنية، وقد وجد أيضا أن درجة القناعة تتزايد بإتجاه أطراف المدينة وضواحيها (Dalkey &Rourke 1973).

في الدراسة عن تباين إدراك المشاكل الإجتماعية في مدينة فريسنو Fresno في كاليفورنيا وبعد تصنيف المناطق السكنية إلى ستة أصناف على أساس المعايير المعيشة Living Standards وجد أن المنطقة الأولى تضم (٧٠٪) زنوج و(٢٠٪) مكسيكيون وسكانها في أدنى السلم الإقتصادي الإجتماعي، المنطقتان الثانية والثالثة أعلى نسبيا في هذا السلم، وتأتي المنطقتان الرابعة والسادسة في أعلى السلم الإقتصادي والإجتماعي، وأدنى منهما بقليل المنطقة رقم (٥). ثم إستبيان (٢٥٠٠) مواطن لتأشير المشاكل المتوقعة بعد تحديد (٨٣)مشكلة رتبت تدريجيا حسب أهميتها، جاءت مشكلة الرعاية الصحية والإدمان على العقاقير والمخدرات في الرتبة الأولى وفي جميع المناطق السكنية. أما المشاكل الأخرى خلال عقد الثلاثينات برزت وجهتي نظر حول المناطق الطبيعية، تنظر الأولى اليها كوحدات مكانية ذات حدود طبيعية تضم سكانا متجانسين في خائصهم. أما النظرة الثانية فتركز على المعطيات الحيوية (البايولوجية) والإجتماعية للمناطق الطبيعية وتعدها وحدات مكانية تسكنها جماعات بشرية موحدة في علاقاتها التكافلية، وهنا إختلف الباحثون فالتكافل يكون لأسباب عرقية دينية أو أسباب حضارية ثقافية. بعبارة أخرى، المستوى الإجتماعي ليس هو الأساس بل عامل الحضارة هوالذي جمع سكان المنطقة الطبيعية وعزلهم عن بقية سكان المدينة.

٣- المنطقة الإجتماعية Social Area

نتيجة تطور تقنيات النقل وإنتشار إستخدام السيارات الخاصة بدأت حركة واسعة نشطة لإعادة توزيع الصناعات والسكن والخدمات التجارية والصناعية وغيرها. لقد تم الفصل بين مكان السكن عن العمل وتفاقمت الهجرة بين المدن وداخل المدينة. وفي الواقع إن الهجرة لم تتوقف منذ أن بدأت مع بوادر الثورة الصناعية. وليس صعبا تحديد حركة الناس بين الأقاليم أو بين المدن، ولهذه الحركة تأثيراتها الإجمالية على تركيبة السكان ونموهم وخصائصهم. ولكن الصعب هو تحليل الخصائص الإجتماعية الإقتصادية لمجمل هذه الحركة وتحديد بدقة أثرها على التركيب الإقتصادي-الإجتماعي-المكاني داخل المدينة.

يذكر كولنك ورث أن حركة الهجرة في بريطانيا بين عامي ٦١-١٩٦٦ قد سادت فيها نسبة العزاب من الريف والمتزوجين من المدن وهذا عكس ما حصل هناك قبل قرن من الزمان. في القرن الماضي أدت الهجرة إلى إزدهار الصناعات في المدن، والآن فإن هجرة الصناعات من مراكز المدن إلى الضواحي الصناعية تصاحبها هجرة عوائل بمستويات إقتصادية عالية نسبيا. كذلك هناك مؤشرات إلى تباين حجم الأسر المهاجرة، فالعمال اليدويون بعوائل تضم ثلاثة أطفال فأكثر أقل قدرة للهجرة من العوائل بدون إطفال بنسبة (٥٠٪)، أما العمال غير اليدويين Non-manual بعوائل بثلاث أطفال فأكثر فقدرهم على الهجرة تصل إلى ضعف من هم بدون أطفال (Cullingworth 1974) والسبب راجع إلى مصاعب يعاني منها العمال اليدويون متمثلة في قلة فرص الحصول على عمل وسكن في الضواحي مقابل فرص الحصول على عمل بعيد عن السكن مع تحمل كلفة النقل، وفي الواقع أن الحالة أكثر تعقيداً من هذا، حيث ساد في عقد الستينات شعور بأن المدن تفقد عناصرها الغنية وهذه الحالة لها تأثيرها الكبير على حياة المجتمع وتشكيله السلطات المحلية فيه.

تؤدي الهجرة إلى المدن إلى اتساع التباين الإقتصادي والإجتماعي فيها عندها يتوزع الناس على أساس المجاميع الصغيرة طبقا للسكن والمهنة، وتنتج هذه الحالة عن تفاعل عوامل عديدة منها المنافسة بين الأفراد والجماعات، لذلك فإن عملية

الفصل إختيارية إنتقائية في الغالب. وهذه الفكرة هي التي دفعت الباحثين مثل شفكي وغيره لدراسة المناطق الإجتماعية لتحيديد التباين في الركيب الإجتماعي في المدينة. إعتمد شفكي طريقة تصنيف الوحدات الإحصائية المتشابهة في قيمتها أو قراءاتها مع بعض لتشكل مناطق إجتماعية. بهذه الصيغة تم تصنيف مناطق المدينة إلى أنماط مكانية عن بعضها في ضوء البيانات الإحصائية الرسمية. وبهذه الطريقة عد تحليل المنطقة الإجتماعية مماثلاً لتحليل العامل البيئي إذ كليهما يؤديان إلى تصنيف وتحديد المناطق الحضرية إلى مناطق ثانوية أصغر. يؤدي التحيليل البيئي إلى بروز عدد قليل من المتغيرات أو العوامل الناتجة عن المعالجة الإحصائية للبيانات ولهذا فإنهات تختلف عن طريقة تحليل المناطق الإجتماعية التي لا تعتمد طرقاً إحصائية متطورة بل مفاهيم ذاتية بالدرجة الأساسية (Evans 1978).

لقد اختلف الباحثون في تحديد أسباب التباين في التركيب الإجتماعي. وقد عده البعض راجعا إلى الهجرة من الريف إلى المدينة وزيادة عدد السكان في المدينة، ونظر البعض الآخر إلى تباين الكثافة وطريقة الحياة وما ينتج عنهما من تباين إجتماعي، وفسر البعض هذا على أساس التبادلات في الخبرة والتنظيم، فتباين الخبرة يؤدي إلى تراتب الجماعات طبقا لحالتها الإجتماعية والإقتصادية التي تحددها طبيعة كل مهنة. ويصاحب التباين في تنظيم النشاطات الإجتماعية تباين في طريقة المعيشة وتأثيرها على الحياة العائلية، وينتج عن التباين في التركيب السكاني ظهور جماعات على أساس عرقي أو ديني.

تعتمد طريقة تحليل العامل البيئي لتحديد المناطق الإجتماعية ورسم الخارطة الإجتماعية للمدينة وذلك من خلال تأشير جانبين مهمين هما الخصائص ضمن المجال الإجتماعي غير المكاني Social Space والثانية تحليل الأنماط في الحيز الجغرافي، وقد عدت هذه الطريقة مفيدة ومهمة لأنها تسهل تفسير أنماط العلاقات بين المتغيرات. فمثلاً، إن إشتقاق إحصائيا أربعة عوامل من أربع وثلاثين متغيرا يساعد في تفسير الأنماط المكانية للأنماط الأربع بينما يكون الأمر صعبا مع (٣٤) متغيراً. وليس الأمر بهذه البساطة، فالحقيقة أكثر تعقيداً حيث لا يتوقع الوصول إلى العوامل ذاتها عند تحليل مجموعة متغيرات لمدن عدة. فالأنماط الناتجة عن التحليل تعكس علاقة المتغيرات لكل مدينة، ولكل مدينة

خصائصها والمرحلة الحضارية والإقتصادية التي تعيشها وتاريخها الإقتصادي والعمراني. بعبارة أدق، تلخيص هذه الطريقة ما موجود في بيانات كل مدينة وكل حالة دراسية ولهذا تختلف الأنماط. الصعوبة الثانية تركن في إختيار المتغيرات للتحليل لأنها تحدد الأنماط، وهذه مرحلة حاسمة في التحليل يعاني منها كل باحث، تكملها مشكلة توفر البيانات ،على مستوى الوحدات الإحصائية الصغيرة. وقد يقع الباحث في مشكلة عندما ينحاز فيتحديد عدد وإختيار متغيرات كل بعد من أبعاد Dimensions المشكلة أو الموضرع الذي يروم دراسته، فالتوازن أمر مطلوب. تعتمد طريقة التحليل العامل البيئي، لتحديد الأنماط المكانية (التوزيع المكاني) للتركيب الإجتماعي في المدينة، وإتجه معظم الباحثين لتحديد العوامل الأربع التالية:-

(!) الحالة الإقتصادية- الإجتماعية والتي تسمى أحيانا بالتراتب الإجتماعي وتؤشر بمتغرات تتعلق بالمهنة والدخل والمستوى التعليمي،

(٢) الحالة العائلية وتتعلق بنوع العائلة وحجمها والتركيب الديموغرافي للساكنين والخصوبة ونوع إشغال الوحدة السكنية (عائلة مفردة أم أكثر)، وجود مسنين، وجود الأطفال، النساء في قوة العمل.

وبزيادة عدد متغيرات هذا العامل قد تتوزع العوائل حسب موقعها في دورة حياة العائلة. وقد وجدت الدراسات علاقة بين درجة الخصوبة ونسبة النساء في العمل، وعلاقة بين خصائص المساكن والحالة الزوجية (نسبة العزاب والمطلقون).

(٣) العزل الإجتماعي، ويرتبط بالتركيب العرقي أو الديني، وقد تنقسم المناطق التي تضم جماعة عرقية معينة إلى فئتين في حالة عدم وجود تجانس وعلاقة بالمتغرات الأخرى (التعليمية والإقتصادي)،

(٤) القدرة على الحركة والإنتقال Mobillity ويرتبط هذا العامل بنسبة الذكور في سن بين (١٥-٤٥) سنة وبنسبة الجنس (الإناث\الذكور). إختلط هذا العامل مع عوامل أخرى ولم يكن بالموضوع الذي تميزت به العوامل الثلاث الأولى.

وجه نقد إلى طريقة تحليل المناطق الإجتماعية ولم يعتقد البعض بوجود

هيكل جغرافي لها، وقد شكك البعض في فاعلية تحويل سيادة عدد من السكان في المدينة إلى تباين في مناطقها الصغيرة، وقال البعض بأن التحليل لا يؤدي إلى تفسير الأنماط بل تحديدها. نتيجة هذا النقد جرى تعديل على نموذج شفكي فقد نظر إلى التحضر والتصنيع كأساس لتصنيف المناطق الإجتماعية وتحليلها. فالتصنيع مؤشر مهم في الرتبة الإجتماعية والمهنية والمستوى التعليمي، كذلك يؤشر الحالة العائلية من خلال درجة الخصوبة ونسبة النساء في قوة العمل، أما التحضر فيؤشر من خلال الهجرة التي تحسب على أساس مسقط رأس رب الأسرة والتركيب العمري والجنسي للسكان. وتعد الحالة العرقية مؤشرا للحالة الحضارية أو المستوى الحضاري للأقليات العرقية أو الدينية.

لقد نظر إلى نموذج شفكي كنموذج إقتصادي ذي علاقة محددة بالتباين الإجتماعي لإعطاءه أهمية قليلة للتنظيم الإجتماعي وتعارض القوى داخل المجتمع. وقد إقترح البعض إبدال التراتب الإجتماعي بالحالة الإقتصادية لأنها أكثر علاقة بنموذج شفكي. وأشار آخرون إلى تباين المناطق السكنية ناتجة عن تباين إجتماعي وليس راجع إلى معايير إقتصادية. وحدث جدل كبير بين الباحثين حول الحالة العائلية وعلاقتها بالنظام الإقتصادي وتركيبته التنظيمية. كذلك كان الأمر بين الحالة العائلية ودرجة التحضر. لقد عد البعض نموذج شفكي مزدوج، فتحضر أي مجتمع ناتج عن زيادة مساحة المناطق الحضرية من حيث عدد السكان والأرض والتي ينتج عنها تباين بين المناطق السكنية من حيث نوع وحجم هذه المناطق، وبهذا فإن زيادة حجم المدينة يصاحبه زيادة في تباين مناطقها الإجتماعية، ويعني هذا أن المناطق الإجتماعية ناتجة عن الزيادة في حجم المدن، الناتجة عن قوى إقتصادية وليس عن حالة عرقية معينة.

٤- القرى الحضرية urban Village

تبرز في المدن الكبرى قرى حضرية حيث تسكن الطبقة الكادحة، تكون الكثافة السكنية في هذه القرى متوسطة إلى عالية وتمتاز هذه القرى بشبكة محلية مكثفة من العلاقات الإجتماعية والإحساس بالإنتماء إلى الحي السكني ومجتمعه. إن الإحساس بالإنتماء إلى الحي السكني يعني الإحساس بالأمان، ويبرز هذا الإحساس في المناسبات الشخصية والعاملة على حد سواء. يقدم لي Ley نموذجا لإحدى هذه القرى الحضرية وإسمها Fairmount تسكنها الطبقة العاملة، منازلها متصلة ببعضها، مع إحساس عالٍ بالإنتماء إلى هذا الحي السكني. ٩٠٪ من المنازل يملكها أناس من نفس المنطقة، ٧٥٪ يسكنها أصحابها، ٤٠٪ لديهم أقارب في الحي السكني نفسه. في الأركان حوانيت، ولما كانت المنازل مواجه للشوارع فالإنتماء إى الشارع أمر واضح للعيان. في الأيام الحارة تتجمع العوائل في الشارع وتخرج الكراسي وأجهزة المذياع والتلفاز. خارج حدود هذه القرية لا يعرف الساكنون الكثير وليس لديهم الرغبة في المعرفة، وهذا مادعى البعض للقول بوجود مسافة حرجة لا يحس أبناء هذه القرى أو الجماعات الإجتماعية بالراحة والأمان.

في مسح ميداني جرى في مدينة شيكاغو وجد أن ٥٠٪ من السكان لا يحسون بالإرتباط بأماكن سكنهم وبغض عن النظر عن الحالة الإجتماعية الإقتصادية. ولعامل الزمن (الفترة الزمنية التي يقضيها الشخص في الحي السكني) دور أساسي في هذا، إضافة إلى وجود الأطفال واللقاءات غير المنظمة Informal Coontacts والمنطقة بين أبناء المحلة.

٥- الغابات الحضرية Urban Jungles

أشارت الدراسات في الولايات المتحدة إلى أن الجماعات الزنجية أقل إرتباطاً بالمكان عكس الجماعات البيضاء. ففي حي Monroe شمال فيلادلفيا حيث يسكن السود لم يؤشر إحساس بوجود مجتمع محلي Community والبديل وجبة طعام وقنينة جعه فقط بجعل الناس سعداء. في هذا الحي كان لعوامل الشغب والعنف والمشاكل الإجتماعية الأخرى دور في تسمية مثل هذه المناطق بالغابة

الحضرية. في هذه الغابات تسود الجرائم أحادية المعيل وترتفع نسب البطالة والإدمان على المخدرات. بالإمكان رسم خارطة هذه المناطق وذلك بتوجيه سؤال إلى الناس لتسمية المناطق أو الشوارع أو المباني التي يعدوها خطرة ويتجنبوا المرور فيها(Ley 1983) .

المبحث الثالث
الواقع السكني في المناطق الإجتماعية

١ – المقدمة

تهتم مختلف الأختصاصات العلمية في دراسة التباين في الواقع السكني في المدينة. فبالنسبة للمهتمين بتحليل المناطق الإجتماعية والعامل البيئي يمثل التباين السكني مركز الإهتمام الأول، وللعديد غيرهم يفسر السلوك الإجتماعي في المدينة بمتغير البيئة السكنية، فقد نظر لمتغير الواقع السكني باهتمام في تفسير الكثير من أمراض المجتمع ومشاكله والظواهر المرفوضة مثل إنحراف الشباب وإرتفاع نسب الجريمة وحالات الاتوازن النفسية، والعلاقات الإجتماعية والإنجاز التعليمي والعلاقات الإجتماعية والمعتقدات والمواقف المختلفة.

خلال عقد الستينات وضعت أدلة لقياس درجة التباين بين المناطق السكنية وتوصلت الدراسات إلى القناعة بأن هذه التباينات إنما تعكس الأفضليات والطموح السكني وتتكون هذه من خلال الخبرة والحالة التي كانت عليها مرحلة الطفولة، وتلعب مهنة رب الأسرة هنا دورا بارزا في تحديد الواقع السكني وموقعه في المدينة. ولا يختلف الناس الذين يعيشون في مناطق المدينة المختلفة في الخصائص فحسب بل وفي السلوك أيضاً. فنسبة مراجة دور العبادة والتسهيلات والمرافق العامة وملاعب الكرة وزيارة الأطباء وغيرها جميعا تتباين بتباين مواقع وطبيعة المناطق السكنية. إضافة إلى ذلك يشمل التباين المشاركة في النشاطات التطوعية والتنظيمات المختلفة، وفي فرص التعليم والقوة السياسية وفرص الزواج أيضا.

تختلف المناطق السكنية عن بعضها بطرق عدة، في التركيب العمراني، تأريخ الإعمار، طراز البناء، ومادته، نوعية الشبابيك، المعايير السكنية، الموقع

المكاني من البناء الحضري، السمعة، في الملكية، في السلطة السياسية، في خصائص ساكنيها والكثير من السلوكيات والمعتقدات الإجتماعية المرافقة لها. ولكي يمكن تفسير هذا الكم الهائل من نقاط التباين من الضروري تبسيط الموضوع. فبدلاً من البحث في تفاصيل خصوصية كل منطقة سكنية يمكن البحث عن حالات التشابه والتباين وتصنيف المناطق السكنية على أساسها.

إن البحث عن الأبعاد التي تتباين على أساسها المناطق السكنية هو بحث عن الخصائص التي تجعل المناطق السكنية متباينة عن بعضها بدرجة واضحة، وليس هذا أمراً سهلاً. لمعالجة هذه المشكلة يُعتمد أحد منهجين: الأولى بمعرفة التقيمات الذاتية للساكنين والتي تتعلق ب: سمعة المنطقة، إحترام ساكنيها، الأمان، الجمال والتجانس. أما المنهج الثاني فيعتمد التباينات الأحصائية الرسمية لتحليلها وتصنيف المناطق على أساس المرتبة الإجتماعية والحالة الإقتصادية والحالة العرقية ودورة حياة العائلة. يعكس المنهجان تباين في الفلسفة البحثية، ففي الخارطة الإدراكية يمثل الواقع السكني أما في تحليل المناطق الإجتماعية والتحليل البيئي فالتباين السكني يمثل توثيقا موضوعيا لدرجة التحضر وتعبير عن التركيب الإجتماعي بطريقة موضوعية (Timms 1978) جزءً من الحقيقة الإجتماعية ومحاولة الساكنين لغرض السكنى يمثل توثيقا موضوعيا لدرجة التحضر وتعبير عن التركيب الاجتماعي بطريقة موضوعية (Timms 1978).

٢- أثر المنطقة السكنية

يقضي الأطفال والمسنون ومن يقوم برعايتهم معظم الوقت في البيئة السكنية، وتفرض المحلة السكنية على الأطفال فرص التعليم الإجتماعي وإكتسابهم الخبرة الذاتية الأولى. إنها تشكل أساس منطقة اللعب الجماعي الأولى، وقد تتحول أماكن اللعب هذه لاحقاً إلى أماكن ومقرات العصابات المحلية. وتكتمل الصورة إذا علمنا أن مناطق تغذية المدارس الإبتدائية تعتمد حدود المناطق السكنية أساس لها، وبهذا تتوفر النماذج المحلية للتقليد والإقتداء، إضافة إلى ما يقدمه التلفاز وأجهزة الإعلام الأخرى. بعيداً عن الزيارات العائلية في المناسبات إلى الأصدقاء والأقارب في مناطق أخرى والتفاعلات المنظمة مع المدرسين فإن اليافعين تكون

إتصالاتهم خارج المنزل محصورة في آباء زملائهم وأصدقائهم في الشارع والمحلة. ويبنى إدراك الطفل الحقائق الإجتماعية من خلال التفاعل مع العائلة والأقران واليافعين في المحلة والمدرسة ومن تسنح الفرصة باللقاء به. والطفل يقارن بين مالديه وما يعود لأقرانه، ووجود اليافعين يجعله ينظر إلى المستقبل ويتوقع نوع الحياة المستقبلية والقواعد والقوانين التي تؤطر حياته وترسم مساره فيها. فللمحلة تأثيرات كثيرة على المواقف الإجتماعية لأفرادها. إن الأفراد الذين يعانون من حساسية تجاه وجود أو غياب الفرص والإحتمالات في الحي السكني تتباين مواقفهم إهتمامات أقرانهم. كذلك الأمر مع زيادة البيوت والزوجات في أوائل دورة حياة العائلة. فالقيم التي تحملها ربة البيت تعود بدرجة كبيرة إلى تفاعلها مع شبكة العلاقات الإجتماعية في الحي السكني. فالحي السكني يحدد طموحات أبناءه ومستقبلهم من خلال الأمهات والأصدقاء.

٣- تحليل التباين السكني

جرت محاولات عديدة لتفسير التباين السكني، وقد توزعت المحاولات على مستويين، واسع ودقيق.

٣ ١) التحليل على المستوى الواسع Macrosocial Scale

ترجع دراسة المناطق الإجتماعية والواقع السكني إلى مدرسة شيكاغو البيئية فقد لوحظ تشابه بين المجتمعات البشرية ومجتمعات النبات والحيوان. فقد حاول بارك الفصل بين نشاطات الإنسان على أساس العامل الحيوي والعامل الثقافي الحضاري، فالعامل الحيوي يشكل التجمعات والمناطق الإجتماعية على أساس التنافس. في هذه الحالة ينظر إلى الأفراد كأفراد مستقلين عن بعض تنقصهم الخصائص الإجتماعية المميزة وبهذا يكونون متساوون في عوامل الجذب والدفع هو حال الثبات أو الحيوان. وفي المجال الثقافي الحضاري فتشكل المناطق الإجتماعية على أساس معالجات إجتماعية صلبة تعمد الإتصال والإدراك بين أفراد المجموعة البشرية.

وكما تتنافس النبات والحيوان على الحيز والغذاء كذلك تتنافس الجماعات البشرية الإجتماعية على الحيز الحضري ولهذا وحسب المنظور البيئي التقلدي فإن المنافسة الإقتصادية هي الأساس في تشكيل المناطق الإجتماعية وتباينها في الواقع السكني. فمعالجات التغلغل والإنتشار والتراجع والسيادة في عالم النبات والحيوان لها نظائرها في المجتمع البشري. ففي المدينة تمارس المنطقة التجارية المركزية CBD السيطرة والسيادة في المناطق المركزية وتتنوع قيم وأسعار الأراضي على أساس القرب منها، وتغزو الإستعمالات التجارية المناطق السكنية، كذلك تفعل إستعمالات الأرض الأخرى (الصناعية، الخدمية). كذلك تغزو المناطق السكنية ذات المستويات الإجتماعي المختلفة بعضها، فالمستويات الأدنى تغزو مناطق سكن الأعلى قرب مركز المدينة، والأعلى تغزو مناطق الأدنى في الأطراف وهكذا يمكن ملاحظة حالة التراجع في المناطقة الإنتقالية حول مركز المدينة حيث يتم التغيير في سكان هذه المناطق وفي إستعمالات الأرض فيها وينتج عن هذه العملية تكوين جماعات محلية صغيرة متجانسة مع بعضها تحتل مناطق محددة تحمي المناطق الطبيعية. فالمدينة تقسمها شبكة النقل فيها وتنظم الأعمال التجارية والصناعية على أساسها، إضافة إلى العوامل الطبيعية الأخرى، وعلى أساسها تتم المنافسة ويتحقق التوزيع المكاني.

يعتقد أن العلاقات الإجتماعية التكافلية يمكن أن تتجاوز، في بعض الحالات، الإعتبارات الإقتصادية، فقد ذكر فيري ثلاثة أمثلة من مناطق مختلفة في التركيب الإجتماعي والعرقي والتي لا يمكن تفسيرها على أساس التنافس الإقتصادي حيث غلبت القيم الإجتماعية، وقد أكد هذه النتيجة باحثون اخرون وليجدوا منهجا إجتماعيا حضاريا Socio-cultural ليعطوا براهين جديدة على صحة هذه الفرضية. (Evans 1978). لقد وجه نقد شديد إلى البيئين لفصلهم بين النشاطات الحيوية والنشاطات الحضارية حيث عدت هذه متداخلة لا يمكن الفصل بينها في المجتمعات البشروية. لقد نظر شفكي و بيل إلى المدينة وما يحدث فيها من تغيير كمرآة تعكس التبدلات التي تطرأ على مجتمع اقليميها. فالمدن تعكس ومن خلال التباين فيها التركيبة الإجتماعية الكبيرة للأقاليم، وإن إستيعاب هذه التباينات لا يتم إلا من خلال فهم ما يجري في المجتمع الكبير.

٢-٣) التحليل على المستوى التفصيلي الدقيق

يعتمد المستوى التفصيلي إتخاذ الساكنين القرارات بالإنتقال من السكن وإختيار المناطق السكنية الجديدة وأثره في تشكيل المناطق الإجتماعية، وكما أشير سابقا فالأفراد المتشابهون يميلون إلى إتخاذ قرارات متشابهة وتكون إختياراتهم متقاربة مما يؤدي إلى تكون أنماطا سكنية متباينة. يرى ديفد هربرت أن القدرة على الإنتقال السكني تعتمد فيها القرارات المنظمة المعتمدة المرتبة الإجتماعية أساسا لها وبهذا تتكون أنماطا إجتماعية مكانية. لهذا السبب نظر للإنتقال السكني كمفتاح لإستيعاب تكون المناطق الإجتماعية (Herbert 1972).

تشير الدراسات التي جرت في بريطانيا والولايات المتحدة إلى أن حوالي ثلثي حالات الإنتقال السكني تتم ضمن حدود المدينة نفسها، ونظر إلى هذه الحالة كتعديل وزيادة في المنفعة المكانية (الإنتفاع من الخدمات المتوفرة في المنزل و الحي السكني وصولاً إلى تلبية حاجة الساكنين).

وقد اهتمت الدراسات الجغرافية بتحليل أسباب الإنتقال السكني والمسافة المقطوعة ومصادر المعلومات عن السكن الجديد وأثر الخارطة الذهنية على هذا. وفي دراسة قام بها هربرت في مدينة سواتزي في جنوب ويلز وجد أن الأسباب الأساسية وراء الإنتقال السكني تعود إلى تبدلات في دورة حياة العائلة والتبدلات في الحالة الإقتصادية الإجتماعية.

وقد قسمت دورة حياة العائلة إلى مراحلة عدة، وتكون دوافع الإنتقال السكني واضحة خلال مرحلة تربية الأطفال وتنشئتهم. وقد توصلت الدراسات في الولايات المتحدة إلى ذات النتيجة وقد أشير إلى أن الوظيفة الرئيسية للإنتقال السكني هي تعديل في الحالة السكنية في ضوء الحاجة التي أنتجتها التبدلات في التركيب العائلي، وعدت التغيرات في الحالة الإجتماعية الإقتصادية مهمة لتقليل المسافة المكانية بين الفرد و المجموعة الإجتماعية التي ينتمي اليها أو أن يطمح أن يكون منها. وقد نظر لهذه الحالة كعملية إنتقال عمودية في التراتب الإجتماعي فللموقع السكني موقع إجتماعي مقابل، والعوائل تتدرج صعودا في السلم الوظيفي وتكون حساسة للمعطيات الإجتماعية للموقع السكني وتكون ميالة إلى

الإنتقال إلى السكن الذي تعتقده مناسبا لها ضمن حاجاتها وطموحاتها الإجتماعية والسياسية.

وقد وجد الباحثون تباينا في عملية الإنتقال بين مختلف المناطق السكنية، فالجماعات ذات المستوى الإجتماعي المتدني تكون أكثر استقرارا وتكون عملية الإنتقال قصيرة المسافة عادة وتكون قنوات المعلومات من خلال المسح الميداني، ولعل ذلك راجع إلى تدني طموحها الإجتماعي ونقص في قدرتها المادية لإعتماد وسائل أفضل لجمع المعلومات، وإن خارطة المدينة في أذهان أبناء هذه الطبقة منحصرة بالحي السكني نفسه لضعف قدراتها على التنقل وتوسيع معرفتها بالمدينة. وأشارت بعض الدراسات إلى تفضيل البعض البقاء في مناطق سكنية معينة وعدت هذه الأفضلية كمؤشر لحالات الإنتقال المتوقعة إلى هذه المناطق. كما أشارت دراسات عديدة إلى دور المسؤلين عن التوزيع السكني ووكالات التأجير وبيع المنازل، والمعروفين باسم حراس البوابة Gate Keepers في تنظيم عمليات الإنتقال بصورة مباشرة وغير مباشرة من خلال السيطرة على الدخول إلى المناطق السكنية وبالتالي تشكيل المناطق الإجتماعية في المدينة.

المبحث الرابع
مناطق المشاكل في المدينة

١ – المقدمة

لكل مدينة مشاكلها الخاصة بها، وهي نابعة عن تاريخها (مراحل تطورها الإقتصادي والعمراني والسياسي) والمستوى الحضاري الذي يعيشه. إنها تعرض القيم والمذاهب الفكرية السائدة وتجسد التركيب الإجتماعي فيها هي إفرازات البيئية الحضرية ضمن مرحلة تطور المدينة والطريقة التي يستجيب الناس بها لهذه البيئة. إنها نتاج التطور الإقتصادي ومستوى الخدمات الإجتماعية فيها ودرجة التباين الإجتماعي وتعارض المصالح والقوى التي تؤثر على سلوك الناس. لهذا السبب تتباين المدن في مشاكلها كما تتباين الدول في هذا المضمار. وما هو صحيح في بلد قد لا يكون كذلك في بلد آخر. وما يناسب علاج مشكلة معينة في مدينة محددة قد لا يناسب مدينة أخرى. فلكل مشكلة خصائصها ولكل مجتمع شخصيته وقيمه وأساليبه. على الرغم من هذا هناك عوامل كثيرة مشتركة، وخبرة بحثية ومهنية غنية ضروري للإطلاع عليها ومعرفتها للإستفادة منها نظريا وعمليا، فالخبرة تكتسب بالمعرفة النظرية وتتطور وتتبلور بالتجربة العملية.

إنصبت الإهتمامات على دراسة ومعالجة المشاكل الرئيسية التالية:

الصحية، السكنية، التعليم، الوضع الإقتصادي متمثلاً بالبطالة عن العمل، فقدان الأمن (سيادة الجريمة) وإنحراف الشباب، التدني البيئي، مستوي المعيشة ودرجة الرضا والقناعة الشخصية. في هذا المبحث نلخص خبرة بعض الباحثين في دراسة مشاكل المدينة والطرائق التي إعتمدوها في تحديد مناطق المشاكل. وتحديد مناطق المشكال هي الخطوة الرائدة الأولى لوضع السياسات العلاجية والوقائية وفق أسس عملية. إنها كالأشعة التي يطلبها الطبيب المعالج لتحديد مكان الورم وحجمه قبل أن يقرر المعالجة بالأدوية، وليحدد كمية الدواء المناسبة للحالة المرضية. فالباحث هنا (تقني) يساعد الطبيب في التشخيص الدقيق للمرض.

٢- المؤشرات الإجتماعية الحضرية

تتطلب معرفة حجم أية مشكلة إجتماعية تحديد عدد المواطنين الذين يتأثرون بها. ولحصر هذا العدد موضوعيا لا بد من وضع مؤشرات تحدد خصائص وطبيعة كل من المشكلة قيد الدرس والناس الذين يتعرضون لها. وتراكم الملاحظات عن منطقة معينة قد يعده البعض كافيا لتحديد المنطقة إلا أنه لا يساعد في معرفة العوامل الإقتصادية والإجتماعية والبيئية والتركيبية التي تؤثرعلى المشكلة موضع البحث، ولهذا تكون معالجتها غير مجدية. في كثير من الأحيان تجمع المعلومات عن المشاكل الإجتماعية عرضيا ومن خلال الإحصاءات الرسمية المتعلقة بحوادث الإجرام، إنحراف اليافعين، الاصابة بالأمراض والظواهر الإجتماعية الأخرى ومقارنة هذه الإحصاءات مع تلك المتعلقة بالإقتصاد القومي، وهذا وحده غير كاف.

قاد حركة المؤشرات الإجتماعية إقتصاديون، سياسيون، علماء النفس، وبدرجة أقل علماء الإجتماع، وكانت الدراسات تنجز على مستوى البلد بأكمله ونادرا ما تكون الإحصاءات على مستوى الأقاليم، وإهمال تام للتباينات داخل المدنية. وحديثا بدأ الإهتمام بالتوزيع المكاني للمشاكل وجاء التوجه لمعرفة البعد الجغرافي للمشاكل الإجتماعية، ولهذا السبب انخرط الجغرافيرن في الدراسات المتعلقة بالمؤشرات الإجتماعية وتباينها بين الوحدات الجغرافية (الإجتماعية، الإدارية) الصغيرة.

تأخذ مؤشرات الحالة الإجتماعية أنواعاً عدة وقيما مختلفة، كذّلك تعتمد لتحقيق أهداف كثيرة ومتنوعة، مثل: دراسة الحالة العامة مع التركيز على مشكلة معنية أو حالة خاصة، أو تجمع البيانات لتعرض حالة معقدة الأبعاد. وقد تكون المؤشرات أهدافا بحد ذاتها لخطة أو حالة يعمل للوصول إليها، أو لتعكس حاجة أو تحدد درجة فاعلية منهاج وسياسة معينة. يصنف ديفد سمث المؤشرات الإجتماعية المعتمدة في تحدي مناطق المشاكل في المدن على أساس منهجين أو مدرستين فكريتين: تعنى الأولى بتطوير المؤشرات الذاتية التي تعتمد أساسا لها خبرة الحياة الذاتية، والمنهج الثاني يستند على قياسات تراكمية تعتمد المناطق

أساسا لها (Smith 1979).

١-٢) المؤشرات الذاتية

تتباين تقيمات الأفراد وإستيعابهم للظروف تبعا للطبقة الإجتماعية أو المكان الذي هم فيه، ويمكن قياس هذه التقنيات وتأشيرها. إنه تحديث وتطوير لمحاولات علماء النفس الإجتماعية في حل المشاكل وقياس درجة الإنتفاع من إقتصاديات الرفاه إجتماعياً. تعتمد هنا أدوات بحثية خاصة تصمم لمعرفة تقنيات الأفراد لمستويات معيشتهم والمؤثرات السائدة عليها مثل نوع العمل، الواقع السكني، توفر الخدمات الإجتماعية ونوعها. وقد يطلب من الأفراد المقارنة بين الحال الراهن وما كان سابقاً وما يتوقع مستقبلاً. لقد تخصصت وحدات ومراكز بحثية في هذا المنهج.

تهتم هذه المدرسة بالكيفية التي يستوعب فيها الأفراد الرفاه الإجتماعي وتقيمهم له. خاصة في مجال الدخل والسكن والخدمات الصحية، وقد يطلب من الأفراد تسجيل الأشياء التي يعدوها أكثر تأثيراً وأهمية بالنسبة لرضاهم وقناعتهم بمستوى المعيشة ليتم تحليلها.

قام الباحثان Rourke و Dalkey باستطلاع آراء طلبتهم عن الأشياء التي يروها الأكثر أهمية لرفاههم ورضاهم بمستوى الحياة، نوعية الحياة التي يعيشوها، واعتمد برنامجان مستقلاً عن بعض لقياس وزن كل مؤشر. وصنفت المؤشرات إلى عناصر Cimponents ورتبت تنازلياً حسب أهميتها في الجدول رقم(٤). تؤكد عناصر نوعية الحياة، حسب هذا الجدول، على الحالة الفردية والشخصية والعواطف للأفراد كمعطيات أساسية تحدد نوعية الحياة التي يياها الفرد. تتباين هذه المفاهيم والإهتمامات بين الأفراد بتباين خبرتهم وطبيعة ما يتوقعه، كما تتباين مكانياً. يهتم الجغرافي بتأثير المكان على هذه المفاهيم، ففي دراسة عن تقيم الأفراد لمناطق سكنهم، جرت في مدينة ديترويت وجد أن للناس المحيطين أثر وهم مصدر القناعة عى غير ما يعتقده المهندسون من أن للطابوق والجص أثر في قناعة الناس في مناطقهم السكنية، وقد وجد أيضاً أن درجة القناعة تتزايد بإتجاه أطراف المدينة وضواحيها (Dalkey & Rourke 1973).

في الدراسة عن تباين إدراك المشاكل الإجتماعية في مدينة فريسنو Fresno في كاليفورنيا وبعد تصنيف المناطق السكنية إلى ستة أصناف على أساس المعايير المعيشة Living Standards وجد أن المنطقة الأولى تضم (٧٠٪) زنوج و (٢٠٠٪) مكسيكيون وسكانها في أدنى السلم الإقتصادي الإجتماعي، المنطقتان الثانية والثالثة أعى نسبياً في هذا السلم، وتأتي المنطقتان الرابعة والسادسة في أعى السلم الإقتصادي والإجتماعي، وأدنى منهما بقليل المنطقة رقم (٥). ثم إستبيان (٢٥٠٠) مواطن لتأشير المشاكل المتوقعة بعد تحديد (٨٣) مشكلة رتبت تدريجياً حسب أهميتها، جاءت مشكلة الرعاية الصحية والإدمان على العقاقير والمخدرات في الرتبة الأولى وفي جميع المناطق السمنية. أما المشاكل الأخرى فقد تباينت المناطق في درجة المعانات منها. فالخوف من الفيضانات جاء بالمرتبة الثالثة شمال المدينة حيث يسكن الأغنياء، ولعل المهندسون أهملوا هذه المشكلة لأنها مؤقتة. كذلك كان هناك إختلاف في النظرة إلى التلوث الذي لم يعده الفقراء مشكلة. بهذا يمكن القول أن نوع المشكلة التي يعاني منها المواطن تعتمد على موقع سكنه في المدينة. يحتوي الجدول رقم (٥) على (١٢) مشكلة تعاني فيها سكان المدينة.

جدول رقم (٤)
عناصر نوعية الحياة وأهميتها النسبية

١ الحب Love ويتجسد في: الرعاية، التعلق العاطفي، الإتصالات، التفاهم الشخصي، الصداقة، الرفقة، الشرف، الصدق، الإخلاص، التحمل، تقبل الآخرين، الإيمان، الوعي الديني.	١٥,٠
٢ الإحترام الذاتي Self-Respect ويتحقق عن طريق: القبول الذاتي، القناعةالذاتية، الثقة بالنفس،الأنانية، الأمان، الإستقرارية، التشابه مع الآخرين، الإستمرار الذاتي، معرفة الذات،الإدراك الذاتي، النمو.	١١,٥
٣ صفاء الذهن Peace of Mind ويتم من خلال: إستقرار العواطف، عدم وجود التعارض؛ الخوف؛ الغضب المعاناة؛ الألم؛ الإذلال؛ الإستصغار؛الهرب؛ الخيال.	١٠,٠
٤ الجنس Sex ويتمثل في القناعة الجنسية واللذة الجسديه.	٩,٥
٥ التحدي Challenge ويبرز من خلال: التحفيز، المنافسة، المسابقات،الطموح، الفرص المفتوحة، الحراك الإجتماعي، الحظ،المتغيرات التعليمية والفكرية.	٨,٠

٦	القبول الإجتماعي Social Acceptance ويتجسد ب: الشعبية، حاجة الآخرين له، الشعور بأنه مرغوب، الوحدانية، الإطراء، الشخصية ، التغذية، الإسترجاعية الموجبة، التعزيزات.	٨,٠
٧	المنجزات Achievement وتتأثر من خلال: الكياسة، القناعة بالعمل، النجاح، الفشل، الهزيمة، الفقدان للنقود؛ للمكتسبات، الجشع المادي، الشهرة، التمييز،	٧,٠
٨	المكانة المرموقة.	٦,٠
	الفردية Individuality وتكون من خلال:	
٩	الراحة، التلقائية، عدم الضغط، عدم السيطرة، الحرية.	٦,٠
	الإنغماس Involvement مع الآخرين والإشتراك في:	
١٠	الإهتمامات، الإيثار، والإهمية.	٦,٠
	الراحة Comfort وتتحقق ب:	
١١	الرفاه الإقتصادي، الإسترخاء، الترويح والصحة الجيدة.	٥,٠
	التجدد Novelty وتكون من خلال: التغيير، التجديد، التنوع، المفاجئات، الضجر، المرح، التسلية،	
١٢	الفطنة.	٣,٥
	السيادة Dominance وتأتي عن طريق: القدرة الفذة، الإعتماد على الآخرين، العجز، فقدان المساعدة،	
١٣	العدوانية، الغوغائية، السيطرة، الإستقلالية.	٢,٠

المصدر: عن (Smith 1979)

الجدول رقم (٥)

تراتب إثنتا عشر مشكلة رئيسية في فريستو، كاليفورنيا، ١٩٧٣

الرتبة النهائية	الوصف	المناطق السكنية					
		الجنوب			الشمال		
		١	٢	٣	٤	٥	٦
١	الكلفة العالية للخدمات الصحية	١	١	١	١	١	١
٢	سوء إستخدام الأدوية والعقاقير	٢	٢	٤	٢	٢	٢
٣	فيضانات عند المطر	٢١	٧	١٧	٣	٣	٣
٤	حصول غير المستحقين على المساعدات	٢٩	٦	٣	٥	٤	٤
٥	قلة فرص العمل	٣	٥	٢	١٥	٦	١٥
٦	السجون غير مجدية للمجرمين	٤	١٩	١٣	٧	٨	٩
٧	قلة الأمان في الساحات و الحدائق	٣٠	١٠	٢٣	٦	٧	٢٢
٨	قلة المصروف على التعليم الأساسي	٧	١١	١٤	١١	١٧	١٠
٩	عدم نظافة الشوارع وكثرة الأزبال	٢٤	١٢	٢٩	٨	١٠	٦
١٠	الكلفة العالية للمساكن بيعا وإيجارا	١١	٣	٧	٩	١٤	١٩
١١	صعوبة الحصول على إسعافات الطواريء	٢٤	٤	٥	١٧	١٦	١٨
١٢	نسب عالية لتلوث الهواء	٥٥	٢٤	٣٥	٤	٩	٥

ملاحظة: تعود الرتب إلى المجموعة المكونة من ٨٣ مؤشرا.

المصدر: عن (Smith 1979)

٢-٢) المؤشرات التراكمية

يعتمد المنهج البيئي في تحديد مناطق المشاكل من خلال رسم خرائط توزيع قيم المتغيرات فرادا أو متكتلة مع بحث عن العلاقة بين هذه التوزيعات. تكمن المشكلة في أن البيانات المتوفرة قد لا تكون كافية أو إن أسباب المشكلة غير معروفة أو لم يتم تسجيلها من قبل الجهات المعنية. وقد تكون هذه الجهات غير جادة في توفير البيانات لأسباب خاصة بها. وقد توفر بيانات الإنتباه تجذب إلى عوامل ليس لها علاقة بالمشكلة قيد الدرس أو إن علاقتها واهية مما يؤدي إلى التشكيك في المنهج الجغرافي خاصة عندما يكون الهدف رسم أو إقتراح سياسة علاجية أو وقائية ولتحديد مناطق المشاكل في المدينة يعتمد أحد سبيلين: الأول يدرس مشكلة واحدة فقط، مثل الإجرام، إنحراف اليافعين، الخدمات الصحية أو التعليمية، وغيرها. أما السبيل الثاني فيأخذ بالحرمان المتعدد، أي الجمع بين أكثر من مشكلة واحدة وتركزها في مناطق معينة من المدينة. لم ينجح تحليل المناطق الإجتماعية في تحديد مناطق المشاكل لتركيزه على التقنيات وليس المشاكل بحد ذاتها. لقد فشل في تحديد الأسباب، لذا لم يقدم مقترحات علاجية مناسبة. وقد إستند تحليل العامل البيئي على بيانات وفرتها الأجهزة الرسمية وكان الهدف تحديد المناطق المتشابهة أو التي يمكن أن تكون ذات مشاكل لجلب الأنظار إليها. أي أن تحديد مناطق المشاكل كان عرضيا وليس هدفا بحد ذاته. إنه يساعد في إستجلاء صورة عامة عن المدينة ويحدد الخصائص المشتركة بين المناطق. يمكن النظر إلى التحليل البيئي كمرحلة تحليلية أولية تتبعها تحليلات أعمق لمعرفة المشاكل والأسباب. إنها توفر الأساس الموضوعي للتحليلات المتخصصة والأدق.

لم يتفق على مؤشرات معينة تحدد مناطق المشاكل على ضوئها كما هو الحال في الدراسات الإقتصادية (الحسابات القومية، ما يفضله المستهلك من بضائع وخدمات، مثلاً). لذلك ترك الباب مفتوحاً للإجتهاد والمبادرة الذاتية لإقتراح وإعتماد مختلف أنواع المؤشرات. ولكن تبقى هناك معطيات أساسية متفق عليها ضمنيا لأنها مفردات وعناصر الرفاه الإجتماعي، وفقدانها أو الخلل في توزيعها

يؤدي إلى أوجاع ومشاكل إجتماعية، في المدن على وجه الخصوص، فالمدينة بكثافتها السكانية العالية وتباين مجاميعها الإجتماعية ومصالحهم الإقتصادية والسياسية ميدان رحب لتعارض المصالح والطموحات المشروعة وغير المشروعة فالتنافس شديد على كل شيء وفي كل مكان من المدينة.

حددت منظمة الأمم المتحدة عناصر المستوي المعيشي بالمفردات التالية:- الصحة بما فيها الحالة الديموغرافية، الطعام والتغذية، التعليم بما فيه الأمية والخبرة المهنية، ظروف العمل، العمالة وتراكم الإستهلاك والوفورات المالية، النقل، الإسكان وتوفر الخدمات السكنية، الملابس، الترويح والتسلية، الضمان الإجتماعي والحرية الإنسانية. وضح Drewnowskl دليلاً لمستوى المعيشة بضم العناصر التالية:-

التغذية، الملابس، المأوى، الصحة، التعليم، الترويح، الأمان، البيئة الإجتماعية، والبيئة العمرانية. وحددت منظمة التعاون والتنمية الإقتصادية D.E.C.D. الأبعاد التي تحدد المناطق الإجتماعية على أساسها ب:- الصحة، تطوير الأفراد من خلال التعليم، العمل وتحسين نوعيته، الترويح والتسلية، الحالة الإقتصادية الشخصية، البيئة العمرانية، البيئة الإجتماعية، الحماية الشخصية وإدارة القضاء، الفرص الإجتماعية والمساهمات فيها، سهولة الوصول. أما في الولايات المتحدة فمعايير الرفاه الإجتماعي تحددت ب:- الدخل، الثروة والعمل، بيئة المعيشة، الصحة، التعليم، التراتب الإجتماعي، الإنتماء الإجتماعي والترويح والتسلية، لاحظ أن العناصر متشابهة مع إختلاف بسيط في الترتيب والتفاصيل ولكن، الأهم إن تباين المناطق في مستوى الرفاه الإجتماعي عامل أساسي في تحديد مناطق المشاكل في المدينة، فمهما إختلفت المناهج يبقى موضوع الرفاه محور التحليل ومحطته النهائية) Drewnowsli) 1974).

٣- نموذج لحالة دراسية Case Study.

من أجل التوضيح ولتسهيل عمل الباحثين في تتبع خطوات من سبقوهم نقدم نموذجين لدراسات هدفها تحديد مناطق المشاكل في لندن موضحين المؤشرات

والخارجين عن القانون.

يفترض لويس أن المشكلة الإجتماعية هي من نتاج دورة الفقر التي يقع الفرد فيها، وبمرور الزمن يتكيف الفرد لظروف الفقر ويكتسب معاييرخاصة ولهذا تكون (حضارة) الفقر ذاتها مشكلة لأنها تجدد نفسها وتحافظ على وجودها (Lewis 1968). بعبارة أخرى، يرى لويس أن الحضارات الفرعية تشكل عاملاً مؤثرا علىْ المشاكل الإجتماعية وبالتالي على مستوى نوعية الحياة في المدينة. إنها الشرنقة التي يحمي الفرد نفسه فيها وهي قانون المجموعة للبقاء. إنها الصورة التي لا يمكن أن ترى إلا بخارطة خطوط القيم المتساوية للمدينة (الخارطة الكنتورية-القيمية).

لإنقاذ مركز المدينة من المنحرفين ومثيري المشاكل يرى البعض ضرورة إيجاد بيئات إجتماعية مختلفة لهم تصحح مذاهبهم وهفواتهم. وللبيئة الإجتماعية سلطة تفوق سلطة البيئة العمرانية لذا فإن إبعاد المنحرفين إلى مواقع أخرى يعنى من الناحية العلمية بيئات إجتماعية مختلفة. وقد إعتمدت الولايات المتحدة سياسة الخلط الإجتماعي بين الطبقات المتقاربة من خلال برامج الإسكان. الفكرة الأساس هنا أن تفريق الساكنين من المرتبة الأدني وتوزيعهم على إيجابيات بيئات الطبقات الأعلى يساعد في تطويرهم تعليميا وإجتماعيا. وفي (١٧) ولاية جنوب الولايات المتحدة كان العزل الدراسي بين البيض والسود معمولاً به حتى عقد الستينات، ثم أتبعت سياسة الإختلاط في المدارس بهدف رفع المستوى التعليمي للزنوج. وقد لاقت هذه العملية معارضة أول الأمر وتباينت مواقف الطبقات الإجتماعية ،والمجاميع العرقية المختلفة في هذا الخصوص. إن إرتفاع المستوى التعليمي يساعد كثيرا في تقارب الأفكار ويضعف تأثير الحضارات الفرعية وينهي دورة الفقر التي قد تأسر البعض وتسحقهم. إن التعليم والثقافة ،والحضارة كل متكامل وعامل حاسم في نوعية الحياة التي يحياها الفرد وتعيشها المجموعة.

٤-٢) سهولة الوصول

لدراسة التباين في نوعية الحياة في المدينة وجه الجغرافيون الأنظار إلى العلاقة المكانية بين الواقع السكني والتسهيلات والخدمات الحضرية مركزين على مشاكل

والتقنيات المستخدمة. لقد أشر توطن مشاكل الفقر والحرمان وغيرها من المشاكل الإجتماعية الأخرى في مدينة لندن الكبرى ومنذ زمن بعيد. وقد كتب عنها كارل ماركس في الجزء الأول من كتابه رأس المال اذ اعتبر المناطق الفقيرة فيها مستديمة رغم الإصلاحات والإجراءات الرسمية. وقد رسم جارلس بوث خارطة الفقر في لندن محددا توزيعه على طول ضفتي النهر. وحتى يومنا هذا تعد مشكلة تعددية الحرمان Multiple Deprivation أكبر مشكلة إجتماعية في بريطانيا ومدنها الكبرى. وقد نوقش الموضوع بشكل مستفيض في الصحف اليومية والمؤتمرات العلمية وأروقة الدولة على حد سواء. اختار Imber عشرة مؤشرات لتحديد الحاجة الشخصية للخدمات الإجتماعية في لندن الكبرى، وهي:- (١) الساكنون الذين يعيشون بكثافة سكنية أكثر من شخص واحد للغرفة (٢) مؤجرو وحدات سكنية مؤثثة من القطاع الخاص (٣) الساكنون الذين لا تتوفر في مساكنهم واحدة أو أكثر من التسهيلات الخدمية الأساسية (٤) المتقاعدون الذين يعيشون بمفردهم (٥) أشخاص خارج العمل (٦) العمال غير المهرة ضمن الفئة النشطة إقتصاديا (٧) العاملات المتزوجات ولديهن أطفال بأعمار تقل عن خمس سنوات (٨) عوائل أحادية الوالدين بأطفال (٩) عوائل بأربعة أطفال فأكثر و (١٠) الساكنون في منازل القطاع العام (Smith 1979).

حسبت الحاجة الإجتماعية بطرق عدة فقد رتبت المناطق السكنية تنازليا حسب قيم كل مؤشر، كما تم تغيير القيم Standard Score وأستخرج مجموع قيم كل منطقة للمؤشرات العشر. إضافة إلى ذلك تم تحليل القيم باعتماد طريقة التحيليل العاملي. اعتمادا على مجموع القيم المعيرة Need Index رسمت خارطة الحاجة التي وضحت أن مناطق الحرمان المتعدد تقع في مركز مدينة لندن وتمتد بإتجاه الضواحي. لقد كانت الوحدات الجغرافية التي اعتمدت في هذه الدراسة كبيرة نسبيا Wards لذا قامت الجهات الرسمية باعادة الدراسة على مستوى الوحدات الإحصائية الأصغر وأختيرت ثماني مؤشرات هي:- (١) ساكنون بكثافة أكثر من ١,٥ شخص/ غرفة (٢) ساكنون بدون التسهيلات الأساسية (ماء ساخن، حمام، مرحاض) (٣) العاطلون عن العمل بسبب المرض أو عدم توفره (٤) ساكنون بدون سيارة (٥) العمال الذكور غير المهرة (٦) السكان بأعمار

(٠-١٤) سنة (٧) السكان بسن التقاعد و (٨) السكان من دول الكومنويلث.
حسبت قيمتها معاملات العلاقة بين المؤشرات ولم تكن هناك إلا علاقة واحدة تفوق قيمتها (٠,٥) وهي بين الكثافة السكنية العالية ومن هم من دول الكومنويلث. أثبت هذا أن التباينات المكانية كبيرة على المستوى التفصيلي الدقيق. وبإعتماد القيم المعيرة رسمت خارطة الحرمان ووجد أنه يتركز في الجزء الغربي من منطقة الدراسة إضافة إلى تبعثره في مناطق مختلفة. لقد ضمت منطقة الدراسة Tower Hamlets حوالي (٤٠٠) وحدة إحصائية صغيرة.

إن تحديد مناطق المشاكل يستند كثيرا على المؤشرات المعتمدة وعلى حجم الوحدات الإحصائية التي تجمع على أساسها البيانات. لذا على الباحث أن يتحلى بالصبر ويعيد التحليل بأكثر من طريقة وبأكثر من مستوى وصولاً إلى الصورة التي تمثل الواقع وتعرض جوانبه المختلفة بموضوعية.

المبحث الخامس
المعاني الإجتماعية للمكان

١- المقدمة

للحي السكني معنى مزدوج: موضوعي وذاتي. فبالإضافة إلى الخصائص الإحصائية للمحلة فلها معان أخرى سواء بالنسبة لساكنيها أو غيرهم. في هذا المبحث يُسلط الضوء على التركيب الإجتماعي للمدينة من زاوية أخرى غير الخرائط والصورة الجوية والإحصائية الرسمية، منظور من على الأرض، مستوى الحياة اليومية. في هذا المبحث تنتقل من زواية الأنماط المكانية إلى ميدان الخبرة الذاتية، من استيعاب الحيز إلى إدراك المكان. إنه منظور ومنهج يعتمده الجغرافيون لتحليل التركيب الإجتماعي في المدينة. وهذا ليس غريبا على الجغرافيا، فهي تدرس الظواهر كما هي وبمعناها في الحياة اليومية وبالقيم التي يضفيها الإنسان عليها وبدون فصلها عن بقية عناصر البيئة التي تنتمي إليها. فكل جزء في المدينة يكتسب معنى خاص به، له تأثيره على أسعار الأرض فيه وحجم ونوع الطلب عليه وبالتالي حركة الناس منه وإليه. بعبارة أخرى، بالإضافة إلى المعاني العمرانية للمباني، لها معاني الإجتماعية. والمكان هو فكرة كما هو شيء مادي، له حقائق متعددة ومتنوعة بتنوع المجاميع إجتماعية وإهتماماتها.

٢- تعدد معاني المكان

ينظر العديد من الأشخاص إلى مدينة بتسبرك في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، كمدينة تنتج الحديد كحقيقة ترد في كتب الجغرافيا وفي منشورات تلوث البيئة، تتكون مثل هذه المعرفة عند الأشخاص الذين لا يعيشون المكان نفسه، إنها معرفة غير قابلة للإختبار وتعد مقبولة و واقعية. فالتعلم يؤدي دوما إلى معرفة غير كاملة، زاوية النظر فيه محددة بأغراض معينة. وفي بعض الحالات تعتمد النظرة السياحية، فسان فرانسيسكو هي عند الكثيرين مرتبطة بجسر البوابة الذهبية، ولندن تقابلها صورة مبنى البرلمان، وترتبط سامراء بمأذنتها الملوية والقاهرة تقترن بأهراماتها. وعجلون في الأردن بقلعتها وجرش باعمدتها وعمان بمدرجها في وسط المدينة والبتراء بالخزنة. مثل هذه النظرة ليست عفوية

بل رسمتها وكالات السياحة وغرف التجارة. فالسائح عند زيارته المدينة عليه أن يقارن بين الصورة التي نقلها الأخرون له وإستيعابه الذاتي للمكان. إنها مقارنة بين المعرفة المكتسبة والخبرة الذاتية، بين الصورة المرسومة من قبل الآخرين والواقع المعاش.

بدراسة التركيب الإجتماعي للمدينة باعتماد الوحدات الإحصائية والبيانات الرسمية تكون نظرة الباحث خارجية كنظرة السائح الذي يزور المنطقة لأول مرة بعيرا عن معايشته للمكان يوميا. إنه يبحث عن عناصر جزئية من خصائص المكان. ومع الأسف تعتمد هذه النظرة لوحدها في الغالب لوصف المكان والتعريف به وإتخاذ القرارات الخاصة به. وبالعودة إلى مثالنا السابق عن مدينة بتسبرك فهي في نظر الصناعيين مدينة إنتاج الحديد، وهي كذلك بالنسبة للممولين الماليين والإقتصاديين ورجال الأعمال وكذلك الجغرافيين. ولكن هناك آخرون تمثل مصاهر الحديد بالنسبة اليهم معان أخرى تؤثرعلى سلوكهم اليومي. فلعشرات الأف من الأوروبيين الشرقيين كانت بتسبرك تمثل فرصة ومكانا للهجرة إليه، تبدلت الصورة بعد عام ١٩١٤ بنشر كتاب وصف المهاجرين إليها بالفقراء و بأن المدينة بحاجة إلى مصلحين إجتماعيين. وبمرور الزمن ظهرت مبان لتمثل المدينة وهنا جاء دور المؤرخين والباحثين عن الإرث والموروث المعماري. وبالنسبة للمخططين تجسد مدينة بتسبرك نموذج المثلث الذهبي.

تتباين النظرة للمدينة عند زائريها وأبنائها بتباين أعمارهم وإهتماماهم. وبالإنتقال من النظرة الخارجة إلى نظرة أبناء المدينة تكون الإختلافات واضحة. فلابن المدينةعين تنظر وأذن تسمع وهما حاستان جدا تجاه المكان والمعنى الذي يشكله، إنه الوطن الذي يعيش فيه ويحلم. ففي مسح إستبياني لطلبة يعشون في مدينة بتسبرك طلب تسجيل قائمة بأهم المباني فيها، كان منزل الطالب واحد من هذه المباني. وتنوعت مفردات القائمة بتنوع إهتمامات الطلبة والمدة التي قضوها في المدينة. فالموقع الجغرافي للمكان موضوع وظاهرة يتبدل تحديدها مع المنظور والزاوية التي ينظر منها. للمكان هدف وغرض، وله حقائق متعددة. فبتسبرك كمدينة لإنتاج الحديد جزء من الحقيقة، وهي أقل بكثير من الحقيقة الكاملة التي يعيشها سكانها.

لم تكشف جغرافية المدينة التقليدية أكثر من مورفولوجية المدينة والتنظيم المكاني لإستعمالات الأرض فيها. ولكن، وراء كل طور عمراني و كل نطاق استعمال أرض مسعى فردي وجماعي. فمن أجل استيعاب شكل المدينة من الضروري العودة إلى الفلسفة السياسية لحكامها. وقد ورد عن لسان حاكم مدينة مونتريال عام ١٩٦٧ أن مساكن الفقراء المتدنية العمران ليست مهمة إذا أمكن جعل الفقراء يفتحون أعينهم انبهارا بالأعمال الفنية التي لا يستوعبوها ولا يدركون مضامينها. مثل هذه الستراتيجيات هي التي بنت الطرق السريعة ومراكز الفنون تاركة المساكن القديمة تتداعى دون معالجتها في مونتريال وغيرها من المدن. تتعدى الحقائق الموضوعية للمظهر الحضري ذاتها لتشكل مجموعة من القيم. وليست القيم ملحقة بالحقائق المكانية، بل إن الحقائق ذاتها ناتجة مباشرة عن هذه القيم. ضمن العالم المعاش ليس هناك فاصل بين الموضوع والذات، فكل موضوع (شيء) هو هدف بحد ذاته ولكل مكان معنى خاص به. وعالم الإنسان المعاش يتشكل عن المجموعة وإهتماماتها، وعندما يتم رسمه وتمثيله في أعمال أدبية نجد ذواتنا فيه. ولعل الكتاب المصريون أفضل من عرض الحقائق الإجتماعية لأماكن السكرية والسيدة والحلمية وغيرها لقد جسدوا الحقيقة الذاتية للمكان من خلال القيم التي تمثلها لتكملة الجانب الثاني من الحقيقة (الذاتي والموضوعي).

إن العلاقة بين الإنسان والبيئة مزدوجة، فالإنسان هو إبن المكان الذي يعيش فيه، ولا يصنع الإنسان معنى للمكان فقط، بل إنه نفسه يتأثر بالمكان الذي يعيش فيه وبالأماكن التي يرتادها. وفي الوقت الذي تعد فيه المدينة من نتاج الطبيعة، فهي بالتأكيد من نتاج طبيعة الإنسان. وعندما يشيد الإنسان المدينة فإنه يعيد بناء نفسه (Park 1929). وقد قام علماء النفس والإجتماع بدراسة العلاقة بين الحيز الصغير Microspace ومستخدميه وأطلقوا عليه تسمية إطار السلوك Behavior setting وهو وقاطنيه في علاقة سببية متبادلة. فالأطر تخطط سلوك ساكنيها (Barker 1963). وفي المجتمعات الغنية وبتوفر الأموال والوقت يستطيع الفرد صنع الأجواء الخاصة به وبما يحدده من معالم العالم الحقيقي الذي يرغب العيش في كنفه.

٣- المحلة وسلوك ساكنيها

لقد درس تأثير الإطار السلوكي على مواقف الأفراد وأفعالهم على مستوى المحلة السكنية. وقد قيل بأن إستمرارية التفاعل بين الفرد والإطار السلوكي تؤدي إلى تبدل في الموقف، ويكون التحول الأكبر في مواقف أبناء الأقليات عند إختلاطهم مع الآخرين. وفي العديد من الدراسات المهمة بأنماط العلاقات وجد أن تتحدد بالمسافة عن الدار. قام روبس بتحديد أثر الجيرة (المحلة) على الموقف من التعليم في مدينة سندرلند شمال شرق إنكلترا حيث إختار سبعة مناطق سكنية في المدينة متباينة في خصائص سكانها الإجتماعية والإقتصادية مفترضا وجود علاقة بين المرتبة الإجتماعية -الإقتصادية والطموح التعليمي. إستطلع روبسن رأي (١٨٨) ولي أمر في المناطق المختاره وجاءت النتيجة وجود علاقة متوسطة القوة (٠,٥٣) بين الطبقة الإجتماعية والموقف من التعليم. مع هذا يمكن القول أنه ضمن المنطقة ذاتها فإن تأثير الجيرة كشابهة لتأثير الحالة الإجتماعية-الإقتصادية. أي إن العوائل في الطبقة الإجتماعية الواحدة تحمل مواقفا متباينة طبقا لمكان الذي تعيش فيه، ومهما كانت المنطقة فإن مواقف الأفراد والعوائل ستكون أكثر تشابها مع المحيطين بهم (Robson 1969). وقد لاحظ روبسن أنه في مناطق سكن الطبقة العاملة تكون العلاقات المحلية قوية لتعكس قيم الطبقة، وفقط العوائل المنفصلة عن جيرانها لها طموحات تعليمية أعلى من غيرها. وقام هربرت في دراسة عن جنوح الأحداث وسلوك ذويهم في تربيتهم في مدينة كاردف مصنفا مناطق المدينة حسب جنوح الأحداث فيها، وفي التحليل الإحصائي حافظ على متغيري الطبقة الإجتماعية والمرحلة في دورة الحياة ثابتة Constant، برهن التحليل على تباين المواقف بما يتناسب مع الجيرة ومدى تأثيرها. فالقيم المحلية وطراز الحياة قد لعبت دوراً في تشكيل بيئات محلية مستقلة نسبيا تؤطر أنماطا سلوكية محددة (Herbert 1976). فالمحلة تأخذ خصائصها من قيم ساكنيها وطرز حياتهم، بالمقابل، إنها البيئة التي تعمل على تعزيز إستجابة الأفراد وتضيق مداها، فشخصية المكان وهوية ساكنيه تعزز بعضها البعض وتكملان جوانب حقيقية (Ley 1983).

لقد قيل بأن المكان هو مركز للمعاني التي تشكلت عن الخبرة الذاتية (Tuan 1975)، وإن المفهوم الإشتقاقي للحيز الذي حدده المعماريون والإقليميون يجب إعادة الحياة اليه لأنه قد فصل عن حالته الطبيعية. فالمعماري وبعد يوم طويل مع المعنى الإشتقاقي للحيز يعود إلى غرفته في المنزل، في الحي السكني، في المدينة، في الوطن، وجميع هذه تمثل طبقات مكانية من عالمه المعاش. إنه عالمه غير المهني، عالم له معناه. الخاص، وإنه مليء بالخبرة الذاتية. والمدينة هي مجموعة من الجيرات السكنية التي ترسم حدودها بالخبرة الذاتية. فالمدينة نتاج مكاني لأنواع العلاقات المحتملة بين مختلف الناس في مختلف الأماكن (McDermatt 1975). ويستخدم المحللون النفسيون الأماكن لتذكير مرضاهم بالعلاقات والخبرة التي إرتبطت بها والتي قد تكون ذات تأثير متميز على المريض وحياته. ،كل جزء من المدينة له صورته في ذهن ساكنيها نابعة عن خبرة. فعند ذكر إسم المنطقة يرد إلى الذهن ساكنيها نوعية الأفراد الذين يحتمل أن يلتقي بهم هناك ولون الصورة الذهنية للمنطقة. وماهو صحيح على مستوى الفرد يكون كذلك بالنسبة للطبقة الإجتماعية. فالحيز يتكون وتتشكل خصائصه عن الخبرة. وفى بعض الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت تشكيلات العصابات والمجاميع المحلية لتحديد حدود المحلات السكنية.

٤- الإدراك الذاتي للمناطق الإجتماعية

يرتبط الإحساس بالأمان بالمسكن Home، والفصل بين الحيز الذاتي والموضوعي واضح. فعندما يتحدث المسؤلون عن بناء منازل Dwelisngs بمواصفات هندسية وكلف مادية فإن السكن يمثل عالم الخبرة الذاتية لساكنيه، علم العلاقات الإنسانية. فالسكن يعني مكانا تقل فيه المفاجأت، فيه خصوصيات الإنسان وفيه سياقات معروفة ومحبوبة، إنه مكان خاص يكون فيه الفرد، عندما يكون مالكا لسكنه، منتجا ومنظما للبيئة الخاصة به، وقد قيل أن ملكية السكن حاجة حيوية للروح لتستقر وتهنأ.

وللسكن وجوه أمان متعددة، والمعنى الأولي لها إنها الملجأ. فالحياة تبدأ جيدة ومغلقة ودافئة بين حنايا المسكن، وبالنسبة للفقراء والطبقة العاملة حيث

تكون الحياة غير مأمونة، يكون السكن فعلاً جنة وحماية من الطوارىء الخارجية. والمسكن آخر حصن وآخر خط دفاعي لدى الإنسان. إنه مكان الراحةوالحياة للطبقة العاملة حيث تخضع جميع الأشياء خارجة إلى قواعد وضوابط خارجية قد تؤدي بالشخص إلى الهلاك. وأفضل ما يقال للضيف" إجعل نفسك في منزلك" دليلاً على الحفاوة وإقرارا بالراحة التي يحسها الفرد بمنزله. في العديد من الحلات تتسع منازل الطبقات الشعبية وتمتد إلى ما يجاورها. وقد برهنت نتائج العديد من الدراسات بأن المحلات السكنية الشعبية في مراكز المدن تتكون من جيران متماسكة، وقد أطلق عليها مصطلح "القرى الحضرية" لإمتيازها بطرز حياة خاصة بها. وتشير الدراسات إلى أن مثل هذه الجيرات تعني الأمان، الدفىء والإحساس بالإنتماء، لذلك تسمى أيضا بأقاليم الأمان. وهذه هي الجوائز التي يحصل عليها الفرد من الحيز المحيط به ،وما يملكه منها، ووجده متحدد فيها، بالمألوف فيها، بإدراتها وتنظيمها وصدقها. تقع القرى الحضرية عادة في جيرات ذات تماسك إجتماعي علٍ أو متوسط، وتستخدم فيها تسهيلات محلية، وتكون للعائلة امتدادات في الجوار. في مدينة بوسطن في الولايات المتحدة حيث يسود الإيطاليون فإن(٦٠٪) من عينة إحدى الدراسات قد أكدت أن جميع أو معظم أصدقائها ضمن المحلة السكنية، وإن حدود الأمان تبدأ من حدود المحلة. وهناك براهين عديدة عن قوة الدعم المحلي في مثل هذه الجيرات متجسدة في الإحتفال بالمناسبات الشخصية وغير الشخصية (Ley 1983).

تشكل منطقة Fairmount في فيلادلفيا حيا سكنيا يتسم بالعديد من صفات القرية الحضرية. تسكن هذه المنطقة الطبقة العاملة في منازل قديمة متصلة ببعضها تقطنها مجاميع عرقية قديمة الوجود في المنطقة (الجبل الثالث)، فيها التزام محلي عالي، (٩٠٪) من منازلها يملكها أبناء المحلة نفسها، (٧٥٪) من المنازل يسكنها أصحبها و(٤٠٪) من العينة لديها أقارب في الحي نفسه. كل صف من المنازل يضم (٤٠) وحدة سكنية، وفي الأركان حوانيت بيع الخضرة والحاجات اليومية الطلب. ولما كانت السلع معروضة على واجهة الشارع لذا للشارع حياته العامة حيث يتجمع الجيران وتُخرج الكراسي إلى الشارع. يصاحب ذلك إخراج أجهزة المذياع والتلفاز. بعيداً عن القرية الحضرية، ليس لسكانها معرفة واسعة ورغبة

أقل في المعرفة. فالإبتعاد عن القرية يعني حالة من عدم الإطمئنان والشد العصبي Stress . ذات الشيئ يحدث في حالة الهجرة إلى مسافات بعيدة وأماكن تختلف فيها الحضارة بدرجة كبيرة .منتكون الحياة غير مأمونة، يكون السكن فعلاً جنة وحماية من الطوارىء الخارجية.

بالمقابل توجد مناطق سكنية تفتقد إلى مثل هذا التلاحم الإجتماعي، فمنطقة Monroe شمال فلادلفيا يسكنها الزنوج تفتقد شعور الدفيء والتكافل. وعندما تعرض الحي إلى برنامج إعادة التطور لم يتصدى لمعارضته إلا (٣٧٪) وأبدى (٣٤٪) من سكانه الرغبة في الإنتقال خارج فيلادلفيا بسبب المشاكل. وقد فسر عدم تكون قرية حضرية في مونرو رغم التجانس العرقي بوجود تباين كبير بين السكان يماثله تباين في الضغط النفسي الذي يعانون منه. وقد جرت محاولة لقياس مقدار الضغط النفسي المحلي بدليل يضم متغيرات تتعلق بالجريمة، الأسرة، العمل وقد وضعت قيم تتراوح بين الصفر حيث لا ضغط إلى (١٥) لتعني أعلى ضغط محتمل. وقد عبر بعض الساكنين عن البيئة في هذه المنطقة بأنها أشبه بغابة حضرية. وفي دراسة عن حي مونرو حدد الشوارع والأركان التي تعد خطرة ورسمت خارطة تفصيلية لهذه الأماكن. كما رسمت خارطة مدينة نيويورك على هذا الأساس من قبل صحيفة فرنسية (Ley 1983).

لا ينحصر الإحساس بالضغط النفسي للساكنين بمراكز المدن فقط، بل وفي بعض مناطق الأطراف والضواحي، ففي منطقة Ravenna إحدى ضواحي مدينة سياتل السكنية وجدت إحدى الدراسات أن (٦٠٪) من عينة الدراسة تتخذ بعض الإجراءات الإحترازية عند خروجها من منازلها و (٢٠٪) تحمل معها أدوات دفاعية، رغم أن المنطقة تعد خالية من الإجرام حسب سجلات الشرطة. أما في المناطق التي يتوقع فيها وقوع الجريمة فالإجراءات الإحترازية أكثر، والخوف من الجريمة في مراكز المدن يفوق المناطق الأخرى، ففي مدينة فيلادلفيا لوحظ أن (٨٤٪) من عينة إحدى الدراسات قد عدت الجريمة أكبر مشكلة في المدينة، وفي إحدى العمارات السكنية في منطقة مانهاتن وجد أن (١٧) من (٢٤) شقة قد تعرضت للسرقة مرة واحدة على الأقل، وقد تسلحت إحدى الشقق السكنية بخمس أقفال للباب مع سلسلتين وجهاز إنذار مع مصيدة وغيرها من الأجهزة.

إن التباين المكاني للجريمة في المدينة قد أصبح حالة مهمة في المدن الأمريكية والبريطانية. ففي دراسة في Missouri أوضحت التباين في الجريمة بين مركز المدينة، الضواحي والمناطق الريفية. (٢٥٪) من ساكني مركز المدينة يعدون جيرانهم غير مأموني الجانب، تقابلها نسبة (٣,٥٪) في الضواحي. وهناك تباين في مواقع الجريمة في المدن الأمريكية بين مناطق السود ومناطق البيض، والتحليل البيئي لسجلات الشرطة يرتبط بين إرتفاع نسب الجريمة والسكان والزنوج. لقد فسر الباحثون حركة هجرة السكان البيض من مركز المدن إلى الضواحي على أساس التداعي العمراني لمركز المدن وإرتفاع نسب الجريمة فيها، وإن تغلغل السكان في مناطق سكن الرجل الأبيض يستقبل سلبياً ويكون دافعا لترك مركز المدينة تخوفا من المشاكل والتصادم مع القادم الجديد. وفي دراسة بيري وزملاءه وجد أن نسبة الطلبة السود في إحدى المدارس قد إرتفعت من (٢٥٪) في نهاية عام دراسي إلى (٩٠٪) في بداية العام الدراسي التالي، وهذا مؤشر للتبدل السكاني الذي حصل في منطقة تغذية المدرسة (Berry et al.197,). وفي شيكاغو أشار (٨٣٪) من سكنة الضواحي إلى إنتقالهم كان تعزيزا للحياة العائلية، وإن (٧٣٪) يسعون إلى بيئة إجتماعية مناسبة يحسون بالإنتماء اليها. ولذلك أصبحت النظرة إلى بعض الضواحي السكنية في المدن وكأنها قرى حضرية تضم حضارة الطبقة الإجتماعية المتوسطة. إن خصائص هذه الضواحي بالحياة العائلية ووجود إحساس بالإنتماء إلى مجتمعها قد جعلها أماكن آمنة للمعيشة والراحة على النقيض من مراكز المدن. لقد أصبحت الضواحي أقاليم أمان ومراكز المدن أقاليم ضغط نفسي وغابات حضرية (Ley 1983).

تمتاز أقاليم الأمان بسمات شخصية وأسلوب واضح، ولكن الأمان لوحده غير كاف خاصة بعد سنوات تنشئة الطفل. وكما يقال فإن الفضول وحب الإكتشاف في صلب طبيعة الإنسان. فالحوافز والأمان يكملان المنظور الحضري. ولقد تم تطوير المرافق الترويحية لإرضاء حاجات الباحثين عن فرص إرضاء الطموح. إنها تجذب الباحثين عن الخبرة الجديدة وعالم الأحلام والمبتعدين عن الأجواء المحلية. وتكون أماكن الطموح بعيدة مكانيا، وفي بعض الأحيان إجتماعيا عن العالم المعاش يوميا. وفي المدن الغربية تكون أقاليم قضاء العطل

بعيدة عن مراكز السكن الرئيسية ولكن يسهل الوصول اليها. بتقدم وسائل النقل وتقنياته فإن المسافة الفاصلة بين المراكز السكانية ومناطق الترويح قد زيدت. لذا فإن تتابع أفضلية مصيف ما من الناحية الإجتماعية يدلل على تباين في سهولة وصول الطبقة أو المجموعة الإجتماعية إليه استنادا على وسائل النقل السائدة. بهذا المعنى نجد أن مصايف ومناطق الترويح حول نيويورك ولندن قد عاشت تبدلات في التركيب الإجتماعي لزوارها وبالتالي تغير الصورة الذهنية لها. فالصورة الذهنية لمدن أتلانتك ونيوجرسي قد تراجعت من مصيف النخبة إلى زوار مدن السواحل، مدن القمار والتسلية التجارية. ذات التتابع قد حصل حول لندن، بتحسن طرق المواصلات. فبعد أن كان الإنتقال اليها موسمياً اصبحت زيارتهم أسبوعياً وأخيراً يوميا. فمنطقة Southend قد إنتقلت من منطقة النخبة إلى منطقة جذب الطبقة المتوسطة وإنتهت بمصيف الطبقة العاملة (Hugill 1975). وحتى مراكز المدن لها جاذبيتها حيث حركة كثيفة للسكان وكثافة عالية لاستعمالات الأرض، وفيها المسارح ودور العرض واللهو. إنها تجذب الشباب وحيث تبدأ الحياة عند بعضهم. وقد تتدرج بعض المناطق لتصل إلى مرحلة تدعى بها بأحياء الشباب الخاصة Youth ghettoes. فقرية كرينج قد انتقلت من مجتمع عرقي متماسك إلى حي سكني للفنانين حيث حياة اللهو وتحولت المباني القديمة إلى محلات بيع التحف وأروقة ومعارض وأضحت منطقة لهو للشباب ومكان مشاكلهم. لقد أصبحت منطقة ينجذب اليها شباب الضواحي لممارسة "نشاطاتهم" بحرية بعيداً عن قيود مجتمعهم. ذات الشيء حدث لمنطقة Tower-town في مدينة شيكاغو (Ley 1983).

يحدد مكان سكن الشخص سمات حياته الإجتماعية، وبدورها تحدد هويته، وحتى ماهو مسموح له، ففي المجتمعات متعددة الطبقات فإن المكان وتحدد الهوية مرتبطان ببعض وقد رسمت خارطة التباين الإجتماعي في بريطانيا، بين الإحباط النفسي في الشمال إلى الرقي الإجتماعي في الجنوب. وقد أدت التمايزات الإجتماعية إلى ظهور أنماطاً سكنية متنوعة في المدن البريطانية عند دراستها على مستوى الوحدات الإحصائية الكبيرة. وعند تصنيف قوة العمل إلى أربعة فئات، بقيت العلاقة واضحة بين المسافة الإجتماعية والعزل المكاني في

المدن المتوسطة الحجم. وقد أشار موركان إلى العزل السكني في بريطانيا حيث يكون الساكنون من الطبقة الإجتماعية العليا (الفئة ١و٢) أكثر عزالاً من الساكنين من الفئات الأخرى، وهذا على غير الحال في مدن أمريكا الشمالية حيث يكون التباين على الأساس العرقي كما هو طبقي في ذات الوقت (Morhan 1974).

إن التباين في الحالة الإقتصادية الإجتماعية يشكل عاملاً رئيسيا في التصنيف السكني في الولايات المتحدة، وسببه الأساس مخاوف البيض من الضغط النفسي الذي يولده وجود السود في الحي السكني نفسه. إن المسافة الإجتماعية هي المحور ولهذا تشكلت المناطق الإجتماعية، وبهذا أصبح الحيز يضم تركيباً إجتماعياً يؤطر إتصال المجاميع مع بعضها وأصبحت الصداقات والزواج منطقة على أساس المسافة وتجزئتها مؤكدة الفصل بين العوالم الإجتماعية وبقيم واضحة التباين. فالحيز قد استخدم لضمان الإشتراك مع الآخرين من ذات الطبقة في العديد من السمات والخصائص. بهذه الطريقة إستخدم الحيز والتركيب الإجتماعي لضمان استقراطية الحي السكني وتشكيل جيرة متماسكة (Ley 1983).

وفي المناطق غير المستوية من سطح الأرض، فإن المواقع التي تسمح بالرؤية والمناظر الجميلة تحتلها الطبقة العليا، بينما العمال وذوي الأجور الواطئة تكون في المناطق الأدنى. وحتى في المباني الشاهقة فبعيدا عن المصعد وقرب الشبابيك تكون الغرف الكبيرة للمسؤلين. وقد لوحظ فرق بين الأغنياء والأغنياء حديثا، الأخرين يميلون إلى الحداثة في التقنيات والتضخم والتفاخر في المظاهر.

تضم الحالة الإجتماعية Social Status خليطا من المتغيرات طرز الحياة، بما فيها الإنتماء الإجتماعي (الديني، العرقي، الموطن الأصلي بالنسبة للمهاجرين)، الظهير الأرضي المرغوب والمظهر الخارجي للمنازل. فالمكان ليس عاملاً غير ذي أهمية في تشكيل حضارة المجموعة، بل إنه يضفي سمة تعبرعن طبيعة الساكنين وهويتهم، ومعالجة غير منطوقة تعبر عن طموحاتهم. إن تنظيم المكان يعني محاولة مدروسة الإتصال مع الذات ومع الآخرين في الوقت عينه، إنه تعبير مادي عن الحالة الشخصية. فالمكان ليس ظاهرة، بل فكرة أيضا. إنه شيء مرتبط

دوما بمعنى، وفق هذا المعنى يتم التعريف بالمكان ويحدد مستقبله. إنه معنى إجتماعي. وبتبديل الحالة الإجتماعية للمكان تكون للمكان الواحد حقائق متعددة طبقا للمجاميع الإجتماعية التي إحتلت المكان نفسه وأهدافها المختلفة. ويعمل المكان كمتغير مستقل ليشكل الحلات ونشاطات السكان. وبهذا فإنه يوفر تلخيصاً للصورة التي يرى الناس أنفسهم بها ويعكس خصائص طراز حياتهم. إنه يمثل رسالة موجهة إلى الآخرين.

المبحث السادس
نوعية الحياة في المدينة

١- المقدمة

ترتبط نوعية الحياة التي يحياها الساكن في المدينة بالفرص المتوفرة أمامة وبما تحققه من رفاه إجتماعي. وبدون استثناء، في جميع المجتمعات لا يكون الوصول إلى هذه الفرص سهلاً وذلك لتباين الأفراد في مواقعهم الشخصية في السلم الإجتماعي الإقتصادي وبالتالي قربهم النسبي من مواقع التأثير والسلطة. وتصنف معوقات الحصول على المصادر حسب علاقتها بالطبقة الإجتماعية ودورها في السوق، علاقتها بالأقليات العرقية والدينية، وعلاقتها بطراز الحياة، وهناك معوقات تتعلق بالقدرة للوصول إلى السلطة. لذا فإن اللامساوات في الفرص في المدينة أمر لا يختلف عليه إثنان. الإختلاف ينصب على الأدوار النسبية للفرص المفتوحة، وطبيعة المعوقات المواجهة لكل مجموعة إجتماعية لتصل إلى مواقع صناعة القرارات.

تتحدد الفرص بطبيعة الشخص ومواقفه وطبيعة النظام الإجتماعي الذي ينتمي إليه، ومستوى طموحه والقيم الإجتماعية والدينية التي يعتنقها والتي لها مساس بالرفاه الإجتماعي، لهذا السبب ترتبط نوعية الحياة بسلسلة واسعة من الحاجات والمطالب الضرورية للحفاظ على الحياة وقيمتها الإنسانية. ترتبط هذه الحاجات والمطالب بالغذاء، الصحة، المأوى، جوانب فكرية وعاطفية. وقد تباين ترتيب أولويات هذه الحاجات والمطالب بين مختلف الشرائح والمجاميع الإجتماعية وفي مختلف المستويات الحضارية. ففي دراسة قام بها نوكس وماكلارن في مدينة دندي في إسكتلندا نجد إستقرارية العائلة والجيرة (الحي السكني) قد جاءت بالدرجة الثانية بعد الحاجات الصحية وحتى قبل العمل والسكن (Knox & Maclarn 1978).

وبالنسبة إلى طلبة الجامعات الأمريكية وجد سمث أن الحاجات الأساسية تبدأ بضمان وجود علاقات شخصية وتحقيق الطموح، أي أن المطالب الشخصية قد تقدمت على الحاجات المادية (Smith 1979). هناك تباين كبير بين المجموعات

الإجتماعية في إستيعاب الحاجات ،والمشاكل ترتيبها حسب أهميتها فأفراد الطبقة العليا يبدون إهتماما أكثر بمشاكل البيئة بينما يهتم أفراد الطبقة الدنيا بالخدمات العامة وتوفيرها. ولعل ذلك راجع إلى سهولة وصول أفراد الطبقة العليا إلى الخدمات العامة بينما يكون الحال أصعب لغيرهم.

إن تقيم نوعية الحياة ليست عملية سهلة وذلك لتشابك المشاكل وإرتباطها، وصعوبة تحديد المؤشرات ذات العلاقة وقياسها بدقة وصعوبة المقارنة بن المجاميع الإجتماعية في استيعاب الحاجات والمشاكل وترتيبها حسب أهميتها فأفراد الطبقة العليا يبدون اهتماماً أكثر بمشاكل البيئة بينما يهتم أفراد الطبقة الدنيا بالخدمات العامة وتوفرها. ولعل ذلك راجع إلى سهولة وصول أفراد الطبقة العليا إلى الخدمات العامة بينما يكون الحال أصعب لغيرهم.

إن تقييم نوعية الحياة ليست عملية سهلة وذلك لتشابك المشاكل وإرتباطها ببعض، ولصعوبة تحديد المؤشرات ذات العلاقة وقياسها بدقة وصعوبة المقارنة بين المجاميع الإجتماعية على ضوئها. فالمعلومات غير الكمية أو الأبعاد الذاتية للرفاه تهمل في الغالب لصالح البيانات الرسمية لسهولة الحصول عليها. لا يعني هذا الإهمال عدم أهميتها بل يتم تجنبا لمشاكل جمعها وتحليلها. إضافة إلى ذلك، فإن المؤشرات الموضوعية ليست هي الأفضل في تلبية الحاجات أو الأهداف البحثية أو إنها تقود إلى القناعة، على العكس قد يؤدي زيادة توفر سلعة معينة بل إلى نقص في القناعة بها حال إرتفاع مستوى الطموح الشخصي أو الإجتماعي.

٢- العوامل المؤشرة على نوعية الحياة

تتأثر حياة الفرد بمجموعة كبيرة من العوامل المتداخلة المتشابكة المعقدة، لذا يصعب تحديدها بدقة، كما يصعب وضع (قانون) عام ينطبق على جميع الحالات. لهذا السبب توجه الباحثون لتحديد العوامل المشتركة التي تؤثر على نوعية الحياة وتؤدي إلى تباينها مكانيا وهي:-

١-٢) حجم المدينة إذا لم تكن هناك سيطرة على نمو المدينة فإن حالة اللاإنضباط تتفاقم مع نمو المدينة، وقد إهتم البيئيون بهذه المسألة. ففي دراسة جرت في

مانهاتن شملت حوالي الفي ساكن وجد أن التعرض إلى الأمراض العقلية يتناسب عكسيا مع زيادة المسافة من مركز المدينة، بالمقابل أشارة دراسة مقارنة إلى إنخفاض نسبة المصابين بالأمراض العقلية في المدن الأمريكية التي يزيد حجمها السكاني عن (٣) مليون نسمة، وترتفع نسبة الإصابة في المدن التي يقل عدد سكانها عن (٥٠) ألف نسمة(Ley 1983)، تماثلها نسبة المدمنين على الكحول والمخدرات ونسبة الانتحار.

تشير الدراسات الحضرية في أستراليا إلى وجود علاقة بين حجم المدينة والتباين الإجتماعي بين المناطق السكنية، وإن عدم وجود مناطق للفقراء في المدن الصغيرة لا يعني قطعياً عدم وجود الفقراء فيها. وفي كندا درست (٢٢) مدينة تتراوح أحجامها بين (١٠٠) ألف و (٢,٧) مليون نسمة عام ١٩٧١ وإتضح وجود علاقة بين الحجم و(٣٢) مؤشرا حضريا. فالمدن الكندية الكبرى يكون فيها عدد الأسرة في المستشفيات أقل نسبة للسكان وتتفاقم فيها مشكلة تلوث الهواء، ولكن معدل الدخل فيها عالياً وتتوفر فيها وظائف عليا أكثر. كما أن إرتفاع نسبة الحضر تشترك معها مستويات دنيا من الإنجاز التعليمي وإرتفاع كلف الإسكان مع نسب منخفضة من البطالة وإرتفاع نسب مشاركة المرأة بالعمل. إضافة إلى ذلك، لم يؤثر التحليل صلة بين حجم المدينة والأمراض الإجتماعية بما فيها الجريمة.

أما في الولايات المتحدة فقد إرتبطت نسب الجريمة بحجم المدينة، فالمدن التي يزيد حجمها السكاني عن (٢٥٠) ألف نسمة تزداد فيها جرئم القتل ثلاثة أضعاف المدن الصغيرة، وتكون فيها سرقة المنازل خمسة أضعاف وجرائم العنف والإعتداء عشرة أضعاف ويكون النشل فيها حوالي (٥٠) ضعفا. إضافة إلى ذلك، تشير الإحصاءات الرسمية في الولايات المتحدة إلى أن الإعتداءات والجرائم الجنسية والإدمان على تعاطي الكحول والمخدرات تتفاقم مع النمو الحضري، تثير هذه الحالة تساؤلات عن تحديد الأسباب، هل هي البيئة الحضرية بحد ذاتها أم إن الأمر يتعلق بطبيعة المهاجرين إلى هذه المدن وطبيعتهم.

٢-٢) الإزدحام الحضري

أكدت الدراسات على أثر الكثافة السكانية العالية على نوعية الحياة، وقد بدأ الباحثون عملهم بدراسة سلوك الفئران أولاً وعدو المدينة كحوض كبير يحتوي السلوك البشري وأشروا حالات من التشابه بين السلوك العدواني للفئران وعند البشر عند إرتفاع الكثافة وزيادة المنافسة على المكان. إن العلاقة بين الإزدحام السكاني ونتائج التحليل تبدو مرتبطة بالمستوي الحضاري للمجتمع، فالكثافة في مدينة هونك كونك عالية إلا أنها أقل تأثيرا. فنسبة مراجعي المستشفيات والعيادات النفسية تشكل (١٠٪) من نظيرتها في الولايات المتحدة وبنصف نسبة الجريمة. ففي الولايات المتحدة الصلة بين الأمراض الإجتماعية والكثافة واضحة، وهي أقل قوة عند قياس أثر متغيرات أخرى مثل الطبقة الإجتماعية، التركيب العمري، الحالة العرقية والتفكك الأسري. وفي الدراسات التفصيلية لوحظ تناقص أثر الكثافة على نسب الجريمة، الوفيات، وفيات الأطفال والإضطراب العاطفي. وفي تورنتو جرى مسح ميداني لأكثر من (٨٠٠) عائلة ووجد أن (١٤٪) من العلاقات بين المتغيرات قيد الدرس مثبت إحصائيا، ولم يكن هناك ما يؤيد أثر إرتفاع الكثافة السكنية في المنطقة أو في المنزل (منفردا) على الأمراض الجسدية أو العقلية أو العلاقات العائلية والحياة الإجتماعية أو النشاطات السياسية. بعبارة أخرى، يبرز أثر إرتفاع الكثافة عندما يؤخذ بالمنظور الواسع Macro ويتناقص بالمستوى التفصيلي وبظهور متغيرات أكثر تأثيرا.

٣-٢) الحضارات الفرعية

لقد خرجت دراسات مدرسة شيكاغو البيئية المعنية بالتنظيم الإجتماعي بتفسيرين لحالة اللاتنظيم: الأول بيئي يركز على تأثير البيئية العمرانية، ويعتمد التفسير الثاني على الحالة الإجتماعية الحضارية. فالعالم الإجتماعي Social Wor-lud يعني مجموعة من الأفراد المتقاربين في التفكير تربطهم مصالح مشتركة وحالة مظهرية متشابهة. والعالم الإجتماعي الحضاري الذي يعيشة الفرد يلبي عددا من إحتياجاته ويحميه من مخاطر الحياة الحضرية، وفي الوقت عينه، يحدد هذا العالم مجموعة القيم والسلوكيات التي يتبناها أفراد المجموعة. ولكل عالم

إجتماعي طريقته الخاصة به في التصرف والكلام والتفكير، وللمجموعة مفرداتها اللغوية الخاصة بها ولها نشاطاتها ومصالحها ومفاهيمها عن الحياة.

تضم المدينة مجموعة متنوعة من العوالم الإجتماعية، والعالم الذي بيده السلطة، بما فيها سلطة السوق، يسهل عليه الوصول إلى أعلى مستويات الرفاه الإجتماعي. ولحجم المدينة صلة بتنوع العوالم الإجتماعية وتباينها. فحجم المدينة الكبير يساعد على تجمع الأفراد ليشكلوا مع بعض حضارات فرعية متميزة عن بعضها بما في ذلك حالات الإنحراف والإجرام. فالمجرمون موجودون في كل مكان تقريبا، إلا أن المدن تسمح بالتخصص وتوفر المساعدين والمشتركين أيضا. بهذا المعنى تنتج المدينة عوالم تحتية و(حضارات) محلية لحماية المنحرفين والخارجين عن القانون.

يفترض لويس أن المشكلة الإجتماعية هي من نتاج دورة الفقر التي يقع الفرد فيها، وبمرور الزمن يتكيف الفرد لظروف الفقر ويكتسب معايير خاصة ولهذا تكون (حضارة) الفقر ذاتها مشكلة لأنها تجدد نفسها وتحافظ على وجودها (Lew-is 1968). بعبارة أخرى، يرى لويس أن الحضارات الفرعية تشكل عاملاً مؤثراً على المشاكل الإجتماعية وبالتالي على مستوى نوعية الحياة في المدينة. إنها الشرنقة التي يحمي الفرد نفسه فيها وهي قانون المجموعة للبقاء. إنها الصورة التي لا يمكن أن ترى إلا بخارطة خطوط القيم المتساوية للمدينة (الخارطة الكنتورية- القيمية).

لإنقاذ مركز المدينة من المنحرفين ومثيري المشاكل يرى البعض ضرورة إيجاد بيئات إجتماعية مختلفة لهم تصحح مذاهبهم وهفواتهم. وللبيئة الإجتماعية سلطة تفوق سلطة البيئة العمرانية لذا فإن إبعاد المنحرفين إلى مواقع أخرى يعني من الناحية العلمية بيئات إجتماعية مختلفة. وقد إعتمدت الولايات المتحدة سياسة الخلطة الإجتماعية بين الطبقات المتقاربة من خلال برامج الإسكان. الفكرة الأساس هنا أن تفريق الساكنين من المرتبة الأدني وتوزيعهم على أيجابيات بيئات الطبقات الأعلى يساعد في تطويرهم تعليميا وإجتماعيا. وفي (١٧) ولاية جنوب الولايات المتحدة كان العزل الدراسي بين البيض والسود معمولاً به حتى عقد الستينات، ثم أتبعت سياسة الإختلاط في المدارس بهدف رفع المستوى التعليمي

يساعد كثيراً في تقارب الأفكار ويضعف تأثير الحضارات الفرعية وينهي دورة الفقر التي قد تأسر البعض وتسحقهم. إن التعليم والثقافة، والحضارة كل متكامل وعامل حاسم في نوعية الحياة التي يحياها الفرد وتعيشها المجموعة.

٤-٢) سهولة الوصول

لدراسة التباين في نوعية الحياة في المدينة وجه الجغرافيون الأنظار إلى العلاقة المكانية بين الواقع السكني والتسهيلات والخدمات الحضرية مركزين على مشاكل الوصول إلى هذه الخدمات وتباين نوعيتها والمسافة الفاصلة بينها ومن يحتاجها من السكان. فعلى سبيل المثال لا يرتبط تدني الإنجاز الدراسي في بعض مدارس المدن بالبيئة الإجتماعية المحيطة بالطفل فقط، بل وبمستوى الخدمات العامة في الحي السكني (Herbert 1976). فنسبة التلاميذ إلى المعلمين تتباين بين (٢٥) إلى (٣٠) في مركز المدينة وبين (١٨) و(٢٢) في الضواحي. إضافة إلى ذلك، هناك صعوبة في الحصول على معلمين جيدين لمدارس مركز المدينة أو المناطق السكنية الخاصة Ghetto فمعدل سنوات خدمة المعلمين في مدارس مركز مدينة شيكاغو كان (٤) سنوات بينما كان في الضواحي الغنية أكثر من (١٢) سنة، كما أن مباني مدارس المركز قديمة وأقل تجهيزاً من مدارس الضواحي وأكثر إزدحاما في أعداد الطلبة لذا ليس غريبا أن يتدنى مستوى التعليم في مدارس مركز المدينة. وفي مدرسة تقع شمال فيلادلفيا في حي يضم أقلية عرقية لوحظ أن مستوى القراءة لتلاميذها متخلف بنسبة (١٧-٢١) شهرا عن مستوى القراءة العام. وفي المدرسة الثانوية تصل درجة التخلف إلى (٣١) شهرا. لقد بنيت المدرسة لتستوعب (٢٤٠٠) طالبا وكان عدد طلبتها وقت إجراء المسح الميداني (٤٣٠٠) طالبا منقسمة على نفسها بدوامين صباحي ومسائي. وفي بريطانيا وجد أن مستوى تلاميذ مدارس المناطق المتدنية العمران متخلفين (٢٢) نقطة عن نظرائهم في المناطق الجيدة البيئة، ويعني هذا تخلفاً لأكثر من سنتين في القراءة لمن هم بأعمار (٨-٩) سنوات (Little 1977).

لا تنحصر النواقص والمشاكل في الخدمات التعليمية بل تشمل سلسلة واسعة من الخدمات العامة بما فيها الرعاية الصحية وحماية الشرطة والمؤسسات العدلية.

وقد إهتم الجغرافيون في الولايات المتحدة بتحليل ونقد توزيع الخدمات الصحية، وقد قيل إن سوء توزيع هذه الخدمات في مدينة شيكاغو قد يسبب حدوث ألف وفاة سنويا. فالفقراء لا يتمكنون تحمل كلف الخدمات الطبية في القطاع الخاص لذا عليهم الإنضمام إلى قائمة المنتظرين في المستشفيات الحكومية القليلة العدد والتي قد لا يكون سهلاً الوصول إليها والحصول على أعلى خدماتها. وفي الوقت الذي يراجع فيه أكثر من نصف سكان ضواحي شيكاغو المستشفيات القريبة بصورة إعتيادية إلا أن هذا لا يتحقق إلا بنسبة (٢٠٪) لمن يعيش مركز المدينة. وفي عام ١٩٦٥ حصل (٥٧٪) من سكنة مركز المدينة على خدمات المستشفيات القريبة (Morrill et al 1970). نتيجة هذا يضطر البعض للسفر لمسافة أبعد وتصبح المستشفيات أكثر إزدحاما وبالتالي تتناقص كفاءة خدماتها. وقد إنغمس العديد من الباحثين في وضع دليل Index لقياس كفاءة الخدمات الصحية وتباينها.

يرتبط الموضوع الآخر الذي يدلل على وجود تباينات في التوزيع المكاني بالرحلة إلى العمل Journey to work، فالعمال اليدويون في مدن الولايات المتحدة يعانون من الفاصل المكاني الكبير بين مكان السكن عن مكان العمل. وضواحي المدن الأمريكية ممنوعة على العمال اليدويين خاصة من الأقليات العرقية ولهذا تفاقمت أزمة النقل بين مركز المدينة ومراكز العمل في الضواحي، بعبارة أخرى، السكن في الضواحي مخصص للطبقة المتوسطة وفيها فرص أكثر للعمل اليدوي والأعمال التي لا تتطلب مهارة أو خبرة معينة، بالمقابل يسكن مركز المدينة الفقراء والأقليات العرقية والملونون وفرص العمل التي تستوجب خبرة ومهارة عالية. فالحركة بين المركز والضواحي مستمرة بالإتجاهين للعمل والسكن.

عدت مشكلة سهولة الوصول سببا في زيادة البطالة في مراكز المدن لإرتباطها بمشاكل الفقر وإنتشار الأمراض الجسدية والعقلية والإجتماعية. ففي مسح ميداني شمل حوالي (٥) آلاف متقدم للعمل من مناطق الفقراء في مدينة إنديانا بولس وجد أن (٨٠٪) منهم يعتمد على النقل العام للذهاب للعمل. ولما كانت حركة الحافلات في معظم المدن إشعاعية تنطلق من المركز لذا تتطلب الرحلة للعمل صباحا إستخدام أكثر من حافلة واحدة، إضافة إلى بطء الحافلات مما يستغرق

وقتا كبيرا.

إن مشكلة توزيع الخدمات وكفائتها مرتبط مباشرة بالأزمة المالية التي تعاني منها المدن الغربية التي تعتمد بنسبة كبيرة على دافعي الضرائب ضمن تشكيلاتها المحلية. فالضواحي تجني الكثير لتصرف القليل، بينما السلطات المحلية في مراكز المدن تجمع القليل والمطلوب منها الكثير. وقد أثرت حركة المصانع والأغنياء نحو الضواحي والأطراف كثيرا في إضعاف إمكانية هذه السلطات. فمعدل الصرف على التلميذ في ضواحي المدن العملاقة يزيد بنسبة (٢٥-٣٠٪) عن ما يصرف على زميله في مدارس مركز المدينة. كما أن برامج إعادة الإعمار وشق الطرق السريعة قد أزاحت الكثير من دافعي الضرائب من مركز المدينة دون تعويض المنطقة بغيرهم. إضافة إلى ذلك فإن نسبة زيادة الضرائب لا تتناسب مع نسبة التضخم وإرتفاع كلف تقديم الخدمات العامة. جميع هذه قد وضعت السلطات المحلية في المدن الغربية في مأزق تقديم خدمات كفوءة لسكان مراكز المدن.

٣- قياس نوعية الحياة

منذ أواسط ستينات هذا القرن والإهتمام يتعاظم بالرفاه الإجتماعي ومؤشراته وقياسها. وكما أشير سابقا ظهرت مفاهيم جديدة مثل مستوى المعيشة أو نوعية الحياة. ولم ينحصر الإهتمام بهذا الموضوع بمؤسسات الدولة بل تعداها إلى المؤسسات الدولية والأكاديمية نتيجة التبدلات التي حصلت في التوجهات السياسية وتحولها من النجاح الإقتصادي إلى تحقيق أهداف وقيم إجتماعية، وحتى الهدف الإقتصادي قد تحول عند البعض من تحقيق نسبة محددة من النمو إلى ضمان الإستقرار أو حالة الانمو. وتعزز هذا التوجه بقيام أحداث هامة لها تأثيراتها الجوهرية على القيم الإجتماعية مثل حركة الحقوق المدنيه وحرب فيتنام والفضائح الإقتصادية والمشاكل البيئية والتباين الحاد بين العالم الغربي والدول النامية، غزو الفضاء والمجاعات والكوارث في العالم النامي ومشاكل مراكز المدن والتباين الإقتصادي والإجتماعي الحاد داخل المدينة الواحدة وغيرها من المشاكل ذات البعد الإنساني العالمي. وقد أثمرت الجهود بظهور نوعين مختلفين من المؤشرات التي تقاس بها نوعية الحياة.

١-٣) التباين في المؤشرات الموضوعية Objective Indicators

إستخدمت معظم محاولات تقييم نوعية الحياة متغيرات مشتقة من بيانات رسمية وقد وجه نقد لهذه البيانات وفاعليتها في تحقيق الأهداف الإجتماعية والمقارنة الموضوعية بين الأقاليم والدول. وقد صنفت المؤشرات المستخدمة في تقييم نوعية الحياة إلى: موضوعية وذاتية. وقد قام رواد مدرسة شيكاغو برسم خرائط سلسلة واسعة من المؤشرات والمشاكل الإجتماعية مثل الأمراض العقلية، الإنحراف والجريمه، الفقر و التفكك الأسري. وقد أوضحت الخرائط تكرار التدرج المكاني عبر المدينة، ولوحظ تطابقاً كبيراً بين توزيعات مرض إنفصام الشخصية في شيكاغو مع التركيب البيئي فيها. ومن تحليل حوالي سبعة آلاف حالة مرضية وجد أن نسبة الإصابة في نطاق المنازل المؤجرة كغرف Rooming-houses تصل إلى عشرة أضعاف نظيرتها في ضواحي المدينة. كذلك كان الأمر مع نسب الجنوح مع تدرج منتظم بالإبتعاد عن المنطقة التجارية المركزية، من (١٠٪) في المركز إلى(٢٪) في الضواحي (Ley 1983).

لم يطرأ تبدل كبير على هذه التوزيعات الإستقطابية فقد أشارت الدراسات الحديثة في جغرافية الجريمة والجغرافية الطبية إلى تدرج حاد في مدينة شيكاغو من مركز المدينة بإتجاه الضواحي للظواهر ذات العلاقة. وفي مقارنة بين مدن فيلادلفيا، سانت لويس ودالاس وجد أن المناطق الحديثة في دالاس تتوزع فيها المؤشرات الصحية بتدرج أقل حدة من المناطق القديمة، وتعاني الأخيرة من إرتفاع نسبة الوفيات لأسباب صحية (Megee 1976). وقد وجد تباين مكاني في أسباب الوفيات يتناسب مع تباين الدخل الفردي. وفي مدينة سياتل (في ستينيات هذا القرن) لوحظ تفاقم ظاهرة الجريمة في مركز المدينة وبإمتداد قطاعي من الشرق نحو الجنوب الشرقي بما يتوافق مع مناطق سكنى العمال ذوي الياقات الزرق. وأشارت دراسة إلى إنتشار الجريمة في كليفلند، في السبعينات، على طول نطاق يمتد من المنطقة التجارية المركزية باتجاه الجانب الشرقي بما يتوافق مع سكن الأقليات الفقيرة، كما أشار التحليل الإحصائي إلى وجود علاقة بين التوزيع الجغرافي لجرائم القتل، الإغتصاب، الإعتداءات البدنية والسرقة مع توزيع مناطق

سكن العمال اليدويون وإنتشار البطالة وسكن العوائل الفقيرة ونسبة وجود الزنوج في مناطق المدينة.

تؤشر هذه العلاقات التمركز الحاد في بعض مناطق مركز المدينة مما دعى البعض إلى تسميتها بمناطق بيئة الشيطان. وفي بلفاست يتناسب التوزيع الجغرافي للبطالة بين الذكور مع التوزيع المكاني للعديد من مؤشرات الإنحراف الإجتماعي وفي مانهاتن لوحظ وجود (جيوب) للفقر في الموانيء التقليدية للمهاجرين. ففي الجزء الأسفل من الجانب الشرقي لمانهاتن وفي حي هارلم، في بداية السبعينات، كانت نسبة الفقراء (٤٠٪)، وهذه منطقة يسكنها المهاجرون من الأقليات العرقية والزنوج والبرتوريكيون ومن ليس الإنكليزية لغتهم الأصلية. كما لوحظ أن القدرة على القراءة والكتابة باللغة الإنكليزية تتناسب عكسيا مع خط الفقر ولهذا تتناقص فرص التعلم والتقدم وبالتالي تتلاشى فرص تغيير نمط الحياة.

وقد أوضحت دراسة عن التباين في فرص الحياة في مدينة ديترويت من خلال رسم خارطة وفيات الأطفال، أن وفيات الأطفال في مركز المدينة تشكل أربعة أضعاف مثيلتها في الضواحي، وإن النسبة في مركز المدينة تتساوى مع نظيرتها في دول العالم النامي. بعبارة أخرى، أن الطفل المولود في مركز المدن الأمريكية تتساوى أمامه فرص الحياة مع قرينه في غيانا على سبيل المثال لا الحصر، وأن الطفل المولود في ضواحي مدينة ديترويت تتساوى أمامه فرص الحياة مع قرينه في النرويج، وهي (٥٠٪) أعلى من المعدل الأمريكي. إضافة إلى ذلك، فإن الطفل المولود في ضواحي ديترويت يتنفس هواء يحتوى ربع كمية الغبار وربع كمية ثاني أوكسيد الكبريت التي يتنفسها الطفل المولود في مركز المدينة نفسها. كما أن كمية الضوضاء في الضواحي أقل بحوالي الثلث، وفي الضواحي مجالات للتسلية أكثر ومدارسها ومكتباتها أفضل، وإن إحتمالات التعرض لحوادث السيارات و الجريمة أقل بكثير عن مركز المدينة. بعبارة أدق، تضم المدينة الأمريكية عالمين مختلفين كليا.

أستعرضت حالة اللامساوات في فرص الحياة الحضرية في العديد من الدراسات والمحاولات الجادة لوضع دليل يقيس نوعية الحياة Livability Index. تتطلب عملية وضع هذا الدليل شمول سلسلة واسعة من الخبرة في الحياة

الحضرية والتي يتم تقيمها وربط عناصرها ببعض لتشكل في محصلتها النهائية مفردات الدليل وقياساته. وفي بريطانيا، ونتيجة وضع الدولة سياسة لمعالجة مشكلة مراكز المدن فقد إنصب الإهتمام على تحديد المناطق التي تعاني من الحرمان والتي تحتاج مساعدة خاصة لحل المشاكل التي تعاني منها. وقد أعتمدت طرقا مختلفة في التحليل منها طريقة التحليل العاملي وأستخدمت البيانات الرسمية موزعة على الوحدات الإحصائية الصغيرة. وبسبب غياب أساس نظري يستند عليه الإختبار المتغيرات ودرجة تكاملها، ولصعوبة توفير بيانات مناسبة على المستوى التفصيلي فقد توجه الباحثون إلى إعتماد الدرجات المعيارية Stan-darized Score وجمعها مع بعض لكل وحدة إحصائية وصولاً إلى تصنيف نهائي للوحدات الجغرافية والقيمة النهائية في الدليل (Hol termann 1975). وفي الولايات المتحدة درست نوعية الحياة في مدينة أتلانتا بإعتماد أحد عشر متغيرا، أشتقت منها خمسة عوامل تمثل المستوى الصحي، سيادة النظام، السكن، الحالة الإقتصادية- الإجتماعية والكثافة. ولم يتم الإكتفاء بنتيجة التحليل العاملي، بل رتبت قراءات العوامل تنازليا. أبرزت هذه العملية حالة الإستقطاب العالية في نوعية الحياة في المدينة إذ جاء المركز باوطأ القيم مع إمتداد من الشرق نحو الغرب حيث يعيش الزنوج. وللتحقق من صدق تمثيل العينة إعتمدت طريقة مربع كاي Chi-square فثبت صحة العلاقة بين الحالة العرقية ونوعية الحياة (Ley 1983).

إن وضع دليل لنوعية الحياة على المستوى الواسع (الكبير) يزيد من فرص توفير مؤشرات تشخيصية. وقد ضم دليل وضع في الولايات المتحدة (١٤) مؤشرا لتمثل أبعادا إضافية مثل: الإهتمام الإجتماعي، مشاركة المواطنين، درجة تلوث الهواء والإدمان على تعاطي المخدرات لتقيس مجتمعة التماسك الإجتماعي. وفي محاولة أخرى إعتمد (٣٢) مؤشرا للمقارنة بين كبريات مدن كندا. وفي دراسة ثالثة أضيفت مؤشرات تتعلق بالجمال والتمييز التأريخي.

قارن Liu بين (٢٤٣) مدينة كبيرة في الولايات المتحدة مستخدماً (١٢٠) مؤشرا تمثل الجوانب الإقتصادية، السياسية، البيئية، الرفاه (الخدمات الصحية والتعليمية) ومعايير إجتماعية، وكانت أعلى القراءات في مدن الساحل الغربي وفي بعض المدن العملاقة في الشمال الشرقي والوسط الغربي. ولا يفترض

وجود علاقة بين العوامل الرئيسية، فالعامل الإقتصادي قد عد مستقلاً عن غيره من العوامل. وقد لوحظ أن أكثر العوامل تبايناً مكانياً هي عاملي الرفاه الإجتماعي والحياة الإجتماعية، أي إنها ذات طابع إستقطابي واضح. وقد سجلت المدن في الجنوب قراءات واطئة، تلتها مدن الشمال الشرقي، تقابلها في الطرف الآخر مدن الساحل الغربي ثم مدن الوسط الغربي. وفيما عدا العامل الإقتصادي، فقد جاءت مدن الساحل الغربي بالمرتبة الأولى طبقا لإحصاءات عام ١٩٧٠ (Ley 1983) .

٢-٣) التباين في المؤشرات الذاتية Subjective Indicators

وجه نقد للمؤشرات الموضوعية مع تشكيك بدقة البيانات وإنحيازها المستمر في عدد من الإحصاءات الإجتماعية. فعلى سبيل المثال، يمثل دليل الجريمه الواقع الإجتماعي وذلك لأنه قد نتج عن تأثيرات ذاتيه تتعلق بكثافة دوريات الشرطة ومستوى التعزيزات ودرجة إستجابة المواطنين للإخبار عن الجريمة والمجرمين. وقد أنصب النقد، أيضاً، على تركيبة المؤشرات لإفتقادها الأساس النظري ولعدم وجود إتفاق على أوزان موحدة تقاس بها المتغيرات. كما ركز البعض على عدم فاعلية المؤشرات في ترك الأثر الواضح وتجسيد الخبرة الحضرية.

على الرغم من النقد فالصلة بين التقيمات الذاتية والموضوعية حقيقة لا يمكن إغفالها، وقد أثبتت صحتها على مستوى البلد بأكمله عند تحديد الأماكن المفضلة للهجرة. وعلى مستوى المدينة تبدو العلاقة بين التقيمات الموضوعية والذاتية أكثر تعقيداً. ففي دراسة جرت في مدينة دندي في أسكتلندا لوحظ أن حوالي ثلث العلاقات الإحصائية بين المؤشرات الذاتية والموضوعية مبرهن على صحتها وإن سدسها بعلاقات سالبة. فبالنسبة للتقيمات المتعلقة بالجوانب الصحية، السكنية، التسلوية وسهولة الوصول إلى الخدمات والتسهيلات الحضرية كان هناك توافق كبير بين التوزيعات المكانية للمؤشرات الذاتية والموضوعية، بينما كان هناك تباين كبير بين توزيع قيم المؤشرات المتعلقة بالتقيمين الذاتي والموضوعي للجوانب المتعلقة بالعمل، التعليم، الضمان الشخصي ومستويات الإستهلاك ودرجة المشاركة مع الآخرين.

ولكلا النوعين من المؤشرات نواقصة، فكلاهما مكلف مادياً ويستغرق وقتا عند جمع بياناته، إضافة إلى إحتمال الإنحياز التقليدي الذي تتعرض له عمليتي جمع البيانات والمسح الإستبياني. رغم هذا فلبعض المؤشرات الذاتية فائدة لتقييم نوعية الحياة الحضرية. ففي مدينة بوسطن الأمريكية جرى في عام ١٩٦٠ إستبيان عارضت نتائجه نهج المخططين في التجديد الحضري وفرضت مسحة إنسانية على التخطيط. ففي الجانب الغربي من بوسطن حيث الواقع العمراني المتدني مؤشرا نوعية الحياة المحلية لمجموعة عرقية متماسكة. فحوالي (٧٥٪) من الساكنين يحملون مشاعر إيجابية تجاه المنطقة وساكنيها وإن التجديد الحضري لهذه المنطقة قد إجتث عددا من سكانها وأثر على حياتهم.

وقد برهنت مجموعة من الدراسات المقارنة بين القرى الحضرية صحة هذه النتائج. ففي دراسة عن منطقة Mowbray، التي كانت قرية زراعية أبتلعتها مدينة كيب تاون لتكون إحدى ضوحيها، التي تمتاز بعمق جذور سكانها حيث أشار مسح إستبياني غطى (٥٠٪) من سكانها الذين تم إبعادهم عنها بسبب التمييز العنصري إلى أن معدل سكن رب الأسره في القرية ذاتها يزيد على (٣٠)سنة، وقد أبعد الملونين عن قرية ماوبراي مسافة تزيد عن الخمسة أميال بعيدا عن مكان عملهم وأقرانهم وأصدقائهم وعن جميع التسهيلات التي كانوا يتمتعون بها وعن طراز حياتهم الذي تعودوه. وقد لوحظ وجود معارضة شديدة لبرامج إعادة إعمار بعض المناطق المتدنية العمران في مراكز المدن سواء في المملكة المتحدة والولايات المتحدة و ذلك لأن الساكنين يتوقعون ظروفا سيئة في الأماكن التي سينقلون إليها، لذا فإنهم مقتنعون بجيرتهم رغم كل شيء. بالمقابل، هناك نسبة غير قليلة تؤيد برامج إعادة الإعمار لأنها تتوقع أن تسوء الأوضاع في المنطقة التي تسكنها لبروز مشاكل إنحراف الشباب وعصابات الشوارع والإدمان على المخدرات وتفشي الجريمه. فالمشكلة إجتماعية وليست عمرانية وإنها أكثر تأثيرا على حياة السكان. ومن يرغب في الإنتقال من سكان هذه المناطق فإنه يفضل الإنتقال إلى الضواحي أو المدن الصغيرة وذلك لأنها تمثل حلم العديد من العوائل في الغرب.

وفي دراسة عن ضاحية Levittown في مدينة فيلادلفيا والتي تضم (١٧) ألف منزل منفرد، أستطلع رأي السكان فوجد أن ثلثي السكان لا تفكر بالإنتقال، وإن من إنتقل فبسبب الحراك الإجتماعي. وعلى الرغم من مشاكل النقل والضرائب وغيرها من المشاكل الأخرى إلا أن القناعة بالمنازل المنفردة والبيئة الإجتماعية قد جعلت السكان متمسكين بالبقاء في هذه الضاحية. وقد جاء النقد الإجتماعي الحقيقي من المراهقين الذين عدوا المنطقة منتظمة وليس فيها حافز، بينما (٨٥٪) من الراشدين مكاناً جيدا للعيش. وينظر للمدن الجديدة من حيث نوعية الخدمات المحلية وسهولة الوصول ونوعية البيئة كعوامل تحافظ على التلاحم الإجتماعي وتعزز نوعية الحياة فيها. وعلى المستوى التفصيلي (الدقيق) وجد أن قناعة المواطن بسكنه تتأثر بجيرانه المباشرين من حيث الصداقة والتشابه في الجوانب الإقتصادية والإجتماعية، ولهذا تبرز ظاهرة الإستقطاب (التركز) بصورة جلية أكدت دراسة Zehner التي شملت (٥٠٠٠) راشد وحوالي (١٠٠٠) مراهق في (١٣) ضاحية سكنية صحة هذه النتائج. ومن الجدير بالإشارة هنا أن هذه الضواحي تسكنها الطبقة المتوسطة العليا، التي تتمتع برفاه إجتماعي ونوعية جيدة للحياة حيث تتميز بمستوى معيشي مرتفع وإستثمار جيد لوقت التسلية والترويح وحياة عائلية سوية. وقد كان المؤشر الرئيسي للقناعة بالمجتمع المحلي هو الصلة بالجيران ومدى صيانة المنزل وترميمه (Zehner 1977). وتشير الدراسات المعنية بالضواحي الحضرية إلى الوحدة السكنية ومستواها العمراني قد جاء بالأولوية الأولى عند معظم العوائل تلتها خصائص الجيرة وكان الموقع في أدنى سلم الأولويات. بالمقابل أعطت العوائل التي تسكن مراكز المدن المراتب الأولى في الأهمية للموقع وبالدرجة الثانية للوحدة السكنية وللجيرة المرتبة الأخيرة (Michel-son 1977). إن الفروقات بين المؤشرات الذاتية والموضوعية مرجعها إلى الفترة التي يقضيها الشخص في منطقة سكنه، إذ كلما تعمقت المدة (عدد السنوات) وتوسعت العلاقات (عمل، تسلية، خدمات) أدى ذلك إلى إلتصاقه بالمنطقة وبالتالي وجود منافذ تعزز القناعة بالمنطقة وتدفع لتطوير السكن.

وفي دراسة عن التباين المكاني للبيئة الحضرية في مدينة دندي إعتمد أحد عشر مؤشرا، أكدت النتائج أنه وفي مناطق متباينة في مركز المدينة وفي الضواحي

وحيث تسود نسبة ملكية المنازل من قبل ساكنيها، وفي مساكن الدولة التي يقطنها المسنون بنسبة كبيرة ترتفع درجة القناعة بالمنطقة، تقابلها مناطق تنخفض فيها القناعة لإمتيازها بارتفاع نسبة الدور المؤجرة من القطاع الخاص في مركز المدينة وفي بعض مساكن الدولة في الضواحي التي تسكنها عوائل كبيرة الحجم بدخل شهري واطيء. لذا يمكن القول بأن العلاقة بين الموقع ونوعية الحياة تتأثر بدرجة واضحة بعوامل أخرى مثل سهولة الوصول إلى العمل والأصدقاء والأقارب والخدمات التجارية والعليمية. تتباين نتائج الدراسات بشكل كبير بين مدن كندا والمدن الإنكليزية في مجال أفضلية السكن العمودي و السكن في مراكز المدن. ففي تورنتو لازالت بعض المناطق السكنية في مركز المدينة مفصلة لمعيشة العوائل. بعبارة أخرى، نتائج الدراسات في دولة ما قد لاتتوافق مع نتائج دراسات جرت في مجتمع آخر.